عزت السيد أحمد

كيف ستواجه أمريكا العالم؟

الهيمنة الأمريكية والنظام العالمي الجديد

عزت السيد أحمد

كيف ستواجه أمريكا العالم؟

الهيمنة الأمريكية والنظام العالمي الجديد

الكتاب: كيف ستواجه أمريكا العالم
الهيمنة الأمريكية والنظام العالمي الجديد
المؤلف: عزت السيد أحمد
الطبعة الأولى. دار السلام للطباعة
دمشق . ١٩٩٢م.

طبع استناداً لموافقة وزارة الإعلام
رقم /٢٠٨٠١/ تاريخ ٢/ ٩/ ١٩٩٢م.

عزت السيد أحمد

كيف ستواجه أمريكا العالم؟

الهيمنة الأمريكية والنظام العالمي الجديد

دار السلام للطباعة

دمشق - ١٩٩٢م

الإهداء

إلى أمتي وهي أحوج ما تكون الآن إلى لَمِّ الشمل ورأب
الصدع وتجاوز الخلافات، لأن التحديات والأخطار التي
تحيق بنا ليست عرضيَّة أبداً، وإنَّما تهدد وجودنا، تريد محو
ماضينا ومحق حاضرنا . . . فهل نتحد ؟ ؟

آمنتُ أنَّ الذُّل ينتصرُ إن كان بين أخوةٍ شترُ
فالعزُّ عزُّ العرب وحدتهم أهلاً بها... فوحدها الظَّفرُ

عزت السيد أحمد

الفَصْل الأوَّل

المهدات

إن خطورة انهيار منظومة الدول الاشتراكية، أو حلف وارسو لا تتمثل بالبعد العسكري وحسب كما اعتقد الكثيرون جدًّا، بل بالبعد العقائدي (الأيديولوجي) الذي يعدُّ في حقيقة الظاهر من الأمر جوهرَ الصراع، وأسَّ الانقسام إِلَى الكتلتين؛ الشرقيَّة والغربية، الاشتراكية والرأسماليَّة.

لقد حفل العام قبل المنصرم، عام تسعين وتسعمئة وألف بأحداث وتغيرات وتبدُّلات عاصفة، تسوِّغُ لنا بصورة أو بأخرى أن نَسِمَ هذا العام بعام الانقلابات الكبرى، أو عام الأحداث والمتغيَّرات النَّوعيَّة الكبيرة، الَّتي كوَّنت بجملتها منعطفاً تاريخيًّا حاسماً وخطيراً في تاريخ البشريَّة، تمخَّضت عنه الكثير من النَّتائج الَّتي أثَّرت في مختلف بلدان العالم، وستؤثر فيها إلى زمنٍ بعيد.

ومما لا شك فيه أنَّ أكثر هذه الأحداث والتَّغيرات أثراً هي انهيار منظومة المعسكر الاشتراكي وانحلال روابطها. وتفكك الاتحاد السوفيتي مؤخَّراً من جهة، وأزمة أو حرب الخليج من جهة ثانية. فما الآثار والنتائج الَّتي ترتبت على ذلك؟

لا نريد أن نخوض غمار تفاصيل هذه الأحداث والآثار التي تمخَّضت عنها، فهذا أمرٌ يطول بنا، وحسبنا أن نَقِفَ عند مسألة واحدة رُبَّما تمس معظم هذه الأحداث والآثار، وهي ما يمكن صوغها في السؤال التالي:

هل أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هي فعلاً صاحبة القرار في عالمنا المعاصر؟

ومن ثَمَّ نستطيع القول:

إنَّ العصر القادم هو عصر الهيمنة الأمريكيَّة أو عصر الإمبراطوريَّة الأمريكيَّة؟

ثُمَّ ما مدى التغيرات الَّتي ستطرأ على السياسة الأمريكيَّة إزاء هذه المستجدات؟

أولاً: انتهاء الحرب الباردة والصراع

بدأت بوادر انتهاء الحرب الباردة تلوح في الأفق السياسيِّ العالميِّ إثر تزعم **ميخائيل چورباتشوف** للاتحاد السوفيتي (سابقا) وتزعُّم المعسكر الاشتراكي ضمناً، ولاسِيَّما بعدما بدأ مشروعه التَّاريخي الكبير في إعادة البناء (البيروسترويكا) بناء على تخطيطٍ مُسَبَّقٍ كشف عنه إقصاءُ بعض أركان القوَّةِ الَّتي قد تعارض مشروعه بافتعال حادثةٍ . أرجح الظنِّ أنَّها مدبَّرة ـ وهي نزول الطيار الألماني بطائرته في ساحة الكرملين، أو ما يسمى بالساحة الحمراء. وبدأ بعد ذلك مشواره في إعادة بناء الاتحاد السوفيتي الذي انتهى بانتهاء منظومة الدول الاشتراكيَّة، وكان تفكك الاتحاد السوفيتي تتويجاً لهذه (البيروسترويكا).

إن خطورة انهيار منظومة الدول الاشتراكية، أو حلف وارسو لا تتمثل بالبعد العسكري وحسب كما اعتقد الكثيرون جدًّا، بل بالبعد العقائدي (الأيديولوجي) الذي يعدُّ في حقيقة الظاهر من الأمر جوهرَ الصراع، وأسَّ الانقسام إلَى الكتلتين؛ الشرقيَّة والغربية، الاشتراكية والرأسماليَّة، الدُّول الَّتي تحمل صوى التقدميَّة

والـدِّفاع عـن حقـوق الإنسـان ودعـم الـدُّول النَّاميـة ومسـاندتها... ثُـمَّ الـدول الَّتـي لا تأخـذ بعـين النَّظـر غيـر مصـالحها وإرضـاء تطلعاتهـا ولـو كـان ذلـك علـى حسـاب الشُّـعوب الأُخْـرى وأكتافهـا. علـى أنَّ الاتحـاد السـوفيتي خصوصـاً، والمنظومـة الاشـتراكيَّة عمومـاً، كانـت تمثِّـل للغـرب الشـبح المرعـب الـذي يتحـين الفرصـة المناسـبة للانقضـاض علـى الغـرب والعـالم، أو (البعبـع) الـذي يريـد التهـام العالم...

هـذا الانقسـام والصـراع هـو الـذي أوجـب علـى كـلِّ فريـق أن يسـعى فـي مناكـب العلـم والتقنيـة باحثـاً عمَّـا يعـزِّز مواقفـه ومواقعـه. الأمـر الـذي أولـد نوعـاً مـن التـوازن بـين الكتلتـين ردحـاً مـن الـزَّمن غيـر قليـل، سـادته كلَّـه الحـربُ البـاردة، ولـيس يعنـي هـذا التـوازن تكـافؤاً فعليًّـا بـين الطـرفين علـى أيِّ صـعيدٍ مـن الصـعد، بقـدر مـا يعنـي التـوازن والتكـافؤ فـي القـرار السياسـي العـالمي، وقيـادة دفَّـة السياسـة فـي العـالم، وإن كـان رغـم ذلـك للولايـات المتحـدة البـاع الأطـول فـي الـتحكم بقـرارات هيئـة الأمـم المتحـدة علـى مختلـف الأصـعدة وتباينهـا، ومـن ثَـمَّ قيـادة دفـة السياسـية العالميـة. لقـد كـان مـن الممكـن وبكـلِّ يسـرٍ أن يكـون انتهـاءُ الحـربِ البـاردة إيـذانا ببـدء نظـامٍ عـالمي جديـد غيـر الـذي انتهـى إليـه فيمـا لـو اسـتمرت العقائديـة (الأيـديولوجيا) الموسـومة بالتقدميـة، واسـتمرت فـي الوقـوف بالمرصـاد أمـام اسـتغلال الشـعوب واضـطهادها . بغـضِّ النَّظـر عـن مصـداقية هـذا القـول

وأبعاده ـ إلا أنَّ الذي حدث هو انهيار العقائدية الاشتراكيَّة[1] بحدِّ ذاتها، مما جعل الحديث عن انتهاء الحرب الباردة أمراً لا مسوغ له، لأنَّ الذي انتهى الآن هو الصِّراع بكلِّيَّته، ومن ثَمَّ لم يعد الحديث عن توازن دولي أمراً مسوَّغاً ولا مقبولاً، لأنَّ مثل هذا الحديث عن التوازن يفترض مسبَّقاً وجود فريقين نوازن بينهما، والذي حدث فعلاً هو اندراج أحد الفريقين في الآخر اندراجاً كليًّا أو جزئيًّا، بانطوائه تحت لوائه العقائدي.

والذي حَدَثَ في دول أوربا الشرقية (الاشتراكية الشيوعيَّة سابقاً) والاتحاد السوفيتي والدول الَّتي انحلَّ إليها من حظر الشيوعيَّة، إلى التنكُّر للاشتراكيَّة، ثُمَّ الاتجاه إلى الاقتصاد الحرِّ والانخراط شيئاً فشيئاً في أساليب الإنتاج الرأسمالي... ما يؤكِّد ذلك خير تأكيد. على ألا يفهم من ذلك أننا نتشيع لهذا الاتجاه أو ذاك، فلكلٍّ منهما مثالبه ومحاسنه الَّتي لسنا بصددها الآن.

وما ينبغي ألاَّ يغيب عن أذهاننا البتة هو أنَّ انهيار منظومة الدول الاشتراكية، والاشتراكية بحدِّ ذاتها، وتفكك الاتحاد السوفيتي من جهة، وبقاء حلف شمال الأطلسي قائماً من جهة ثانية، ليس يعني أنَّ روسيا (خَلَفَ الاتحاد السوفيتي) لم تعد دولةً عظمى، وأَنَّها غير قادرة على الخروج من طوق السيطرة والهيمنة الأمريكية بالضرورة، وإنَّما الذي نعنيه هو أنَّ ثَمَّةَ توازياً الآن في العقائديات

(١) . ينبغي ألا يفهم من ذلك أنَّ الاشتراكية أو الفكر الاشتراكي على كامل الخطأ، أو أنها ليست المطمح الإنساني العريض في القضاء على الظلم والاستغلال. وهذه مسألة أُخْرَى تستحقُّ وقفة مطولة...

القائمة في هذين البلدين، وجلِّ الدول العظمى إثر التغيرات الأخيرة، وبالتَّالي لم يعد ثَمَّةَ مسائل خلافية جوهريَّة يقفان عندها. لنغدو أمام اتجاهٍ سياسيٍّ واحدٍ، وعقائدية واحدةٍ هي الَّتي استطاعت أن تصمد وتفرض ذاتها أخيراً...

إنَّ أكثر النَّتائج التي ترتبت على هذا الوضع الجديد أَهميَّةً، ولعلَّها الأشدَّ خطورةً وحساسية، هي فقدان عددٍ كبيرٍ من دول العالم الداعمَ والسَّندَ الذي كان الاتِّحادُ السُّوفيتي محوراً له، مما وضع هذه الدول أمام مآزق صعبة. وأوقعها في إرباكات لا يمكن تجاوزها بهذه السُّهولة، ومازالت معظم هذه الدُّول في حيرةٍ من أمرها إذ بات عليها إما أن ترتمي في الأحضان الأمريكيَّة وتتنكَّر لماضيها وليس هذا بالأمر اليسير ولا السَّهل على كثير من الدُّول. وإما أن تستمر في معاداتها للإمبريالية الأمريكية من دون أيِّ سندٍ مكافئ لهذه الإمبريالية، على عجزها عن النِّديَّةِ والقدرة على التحدي إلا بنوع من الانتحار، وهذا أيضا أمر تصعب استساغته...

وأمام هذين الخيارين اللذين تبين أنَّ أحلاهما مرٌّ، يلوح لبعضهم أنَّ خيرَ سبيلٍ للخروج من هذا المأزق الحرج هو إيجاد نوعٍ من التوازن بين التوجهات العقائدية لهذه الدول، والعقائدية المهيمنة، بتقديم بعض التنازلات؛ إما للمحافظة على ما حققته من مكاسب وتحقيق مكاسب جديدة أُخْرَى بقدر ما تسمح به الظُّروف، أو لحفظ ماء الوجه...

هـذا الحـل وإن كـان يبـدو أمثليًّـا فإنَّـهُ سـيندرج فـي المحصـلة ضـمن أحـد الخيـارين السـابقين بصـورة أو بـأخرى، ويظـلَّ العـالم معظمـه خاضـعاً لعقائديـة واحـدة وقـوة متفـرِّدة، لا تلـوح فـي الأفـق الحاضر أيُّ إمكانيَّة لكسر طوقها.

ثانياً: أزمة الخليج الثانية

تجسِّـدُ أزمـة الخلـيج أنموذجـاً واقعيًّـا صـارخاً يصـور بوضـوحٍ وجـلاءٍ آثـار انسـحاب ا لاتحـاد السـوفيتي مـن ميـدان المجابهـة، وبدايـة عصـر سـيطرة القـوَّة الواحـدة. ويبـدو ذلـك مـن خـلال صـورتين متبـاينتين ومتكـاملتين؛ أولاهمـا تحفـز الولايـات المتحـدة الأمريكيَّـة وتوجههـا نحـو ضـرب أيِّ قـوة ناشـئة، وعـدم السـماح بنشـوء أيِّ قـوَّةٍ جديـدةٍ علـى السـاحة العالميـة. وثانيهمـا بـروز الولايـات المتحـدة الأمريكية بوصفها قائداً عسكريًّا وسياسيًّا لدول العالم:

١ . يذكر متابعو أزمـة الخليج النـداءات الكثيرة الَّتـي وجهت إِلَـى العراق للانسحاب من الكويت. كما يذكرون التذرُّع العراقي بأنَّ المقصود إنَّمـا هـو ضـرب العـراق لا الانسـحاب مـن الكويـت. وأن حشـد القـوات والأساطين يهدف إِلَى ضرب القوَّة والتقنية العراقية لا الدفاع عن الشرعيَّة الدوليـة، ومـن ثَمَّ فـإن العراق ستضـرب سواء انسـحبت من الكويت أم لـم تنسحب!! فما مدى مصداقية هذا الطرح؟

بغضِّ النظرِ عن كثيرٍ من الاعتبارات فإن هذا القول لا يخلو البتة من جانب الصحة، من دون أن يلزم عن ذلك بالضرورة أن قوَّات التحالف كانت ستضرب العراق لا محال؛ سيان أخرجت من الكويت أم لم تخرج.

والذي يؤكِّد هذا الاتجاه في الفهم أمورٌ كثيرة لَعَلَّ أكثرها أهميَّة هو تلك الشروط الَّتي أمليت على العراق إثر انتهاء الحرب، ولاسِيَّما فيما يتعلق بالتسلح والتصنيع الحربي، هذه الشروط الَّتي كانت سابقةً على الحرب أيضاً. ويؤكد ذلك أيضاً الدعاوى الَّتي راجت قُبَيْلَ الحرب في الأوساط الإعلامية العالمية من أنَّ الجيش العراقي رابع أقوى قوَّة في العالم، والحرس الجمهوري العراقي الأسطورة الَّتي لا تقهر، وأن هذه القوَّة خَطَرٌ على المنطقة بل وعلى السلام العالمي، وأن ضرورة الاستقرار والسلام تتطلب القضاء على هذه القوَّة وتجريدها من عناصر القوَّة... وهلم جرًّا من هذه الدعاوى الَّتي سوَّغت الولايات المتحدة من خلالها، لا لإخراج القوات العراقية من الكويت وحسب، بل لضرب كلِّ المنشآت الصناعية المتطورة وغيرها في العراق...

والحقيقة أنَّ القصد من وراء ذلك لا العراق وحدها.. وإنما كلُّ دولة تحاول تجاوز الخطوط الحمراء الَّتي ترسمها الولايات المتحدة الأمريكية، وليس أدلَّ على ذلك من الإشكالات والاتهامات الَّتي تثيرها الولايات المتحدة خصوصاً وحليفاتها عموما حول أيِّ دولة تلوح فيها بوادر تقدم أو تطور تقني عالي المستوى والأهميَّة، ولاسِيَّما فيما يساهم في امتلاك عناصر القوَّة، أو إن كان يوجد فيما تيار سياسي وعقائدي (أيديولوجي) متصاعد لا يصبُّ في خانة المصالح الأمريكية، ومازالت الدعاوى الَّتي أثيرت حول الجزائر قريبة من الأذهان، بل ومازالت تثار، وبعدها بفترة وجيزة حول ليبيا والتهديدات الَّتي تعرَّضت لها، ثُمَّ الأزمة الرَّاهنة وما توصَّلتْ إليها من تشعبات وفرض العقوبات والحظر التجاري. وقبلهما

حول الباكستان بشأن امتلاك السِّلاح النووي. وهذه «لجنة من الكونجرس الأمريكي تقيم الدنيا ولا تقعدها لأنَّ هناك مشروعا لتصنيع قنبلةٍ نووية في الباكستان... وما هي الباكستان؟! إنَّها قاعدة لحلف أمريكي هو حلف جنوب شرق آسيا... لقد منع الأمريكيون المساعدات عنها وقالوا لحكومتها: لا تتوقعوا أن نعطيكم، وسنحاصركم، لأن هذه القنبلة الإسلامية يمكن أن تستعمل في أماكن أُخْرَى... إنَّهُم يعرفون فينظرون إلى الأمام...» [٢].

ثُمَّ بعد ذلك التَّلويح بالعقوبات الاقتصاديَّة ضدَّ أيِّ دولةٍ تفكِّر في أن تشبَّ عن الطَّوق الأمريكي، وكازاخستان هي المثال على ذلك، لما يُعتقد من أنَّها قد تقودها ميولها الدينية إِلَى التعاطف مع العرب والوقوف إِلَى جانبهم..

والنَّصف يدعونا إِلَى القول بأن نزع السلاح النَّووي والأسلحة الفتاكة، والحيلولة دون انتشارها مطلب لازب، وأمل يشرئب الإنسان إِلَى تحقيقه. ولكنَّ المشكلة تكمن في أنَّ طرفاً واحداً سيظلُّ ممتلكاً هذا السلاح ومحتكراً إيَّاه، هذا السلاح الذي هو أمضى الأسلحة... والورقة الحاسمة حكماً. مما يفرض على العالم بصورة أو بأُخْرَى أن يستظلَّ بظلِّ هذه القوَّة، ويخضع لها، ويرضخ لإرادتها شاء ذلك أم أبى!! وإن كان يعتقد الكثيرون ممن يرضخون لمثل هذه الهيمنة أن شخصيتهم محفوظة

(٢) . أحمدجبريل: **بعد ٤٤ سنه من التضحيات**... . ضمن مجلة **إلى الأمام**– دمشق . العدد ٢١٣٢ . تاريخ ٣/ ٤/ ١٩٩٢م . ص ١٢.

وكرامتهم مصانة، فإنما هم واهمون، يضللون بذلك أنفسهم قبل أن يضللوا غيرهم...!!

٢ ـ تعدُّ الولاياتُ المتحدةُ الأمريكية منطقة الخليج العربي جزءاً لها وحدها حقُّ السيادة عليه، ولذلك فهي لا تسمح بأيِّ تغييرٍ في خارطة المنطقة، أو خلخلتها على أيِّ نحوٍ ليس يرضيها، أو لا يكون لها فيه يدٌ، ولذلك فإنَّ التدخل العراقي في الكويت كان يعني للولايات المتحدة شبوباً على طوق سيادتها أكثر مما كان يعني خرقاً للمواثيق والأعراف الدوليَّة ـ وإن كانت تخطط لمثل هذا التدخل ـ وليس في أعراف المهيمنين ما يعدُّ شرعة غير الَّتي يسنونها هم، وكلُّ خروج على هذه الشرعيَّة لابدَّ أن يُسْحَقَ، ولذلك جاء التدخل العراقي في الكويت لقمةً سائغة انتظرتها الولايات المتحدة طويلا لتبرز مفتول عضلاتها وقدرتها على قيادة الموقف العالمي، وفرض آرائها ومواقفها، وهذا ما تحقق لها فعلاً، وعلى الأقلِّ في أنظار الأمريكيين أنفسهم، ففي استطلاع شامل بعد حرب الخليج قامت به عدَّة مؤسسات أمريكيَّة معاً، تَبيَّنَ أن الأمريكيين «يؤمنون بالحرب بوصفها وسيلةً فاعلة لتحقيقِ الأهداف، ويؤمن الرأي العام الأمريكي بأن الحقَّ كان في الجانب الأمريكي في هذه الحرب... كما أن أغلبية كبيرة من الأمريكيين أيَّدت وصف الحرب الأخيرة بأَنَّها حققت انتصاراً كبيراً للولايات المتحدة وزادت من النفوذ الأمريكي في العالم[٣].

ولكن هل انتظرت الولايات المتحدة فعلا تدخلاً عراقيًّا في الكويت؟!

(٣) ـ **الكفاح العربي** ـ بيروت ـ العدد ٦٧٠ ـ تاريخ ٣ حزيران/ يونيو ١٩٩١م ـ ص٢٤.

أوردت مجلة العربي الكويتية في عددها (٣٥٣) الصادر في نيسان/ أبريل ١٩٨٨م تحليلاً لبعض الأفلام الأمريكية الَّتي تتناول الشَّخصيَّة العربية، ومنها فيلم عنوانه (الدِّفاع الأفضل) الذي ظهر في عام ١٩٨٢م، مصوِّراً اجتياحا عراقيًّا للكويت، وكيف استطاعت الولايات المتحدة تدمير الجيش العراقي وتحرير الكويت، بناءً على طلب الكويت(٤).

فهل نَسِمُ هذا الفيلم بالتنبوئية أم بالاتفاقية، أم بأن ثَمَّةَ تخطيطاً مسبَّقاً فعلاً؟!

لاشكَّ في أنَّه إن لم يكن للولايات المتحدة يدٌ خفيَّة في التدخل العراقي في الكويت فإنَّها كانت تخطِّط لدفع العراق إِلَى هذا التدخل حَتَّى توجد مسوغاً لوجودها الدائم في منطقة الخليج العربي، أي لعودة نظام الحماية الاستعمارية من جديد في هذه المنطقة، وإن كان لها وجودٌ ليس شكليًّا بحالٍ من الأحوال.

ولكنَّ تحرير الكويت في الواقع يختلف عنه في الفيلم، فقد أسبغت الولايات المتحدة على تدخلها المباشر واستمرار وجودها في الخليج العربي شرعيَّةً، وإجماعاً دوليًّا، استطاعت أن تفرضهما على مجلس الأمن الدولي ومعظم دول العالم فرضاً، بصورة أو بأخرى. والوقائع والأحداث الَّتي رافقت الأزمة قبل اندلاع الحرب خيرُ دليلٍ على ذلك، فقد دفعت بالكثير من الدُّول إِلَى إرسال جيوشها إِلَى منطقة الخليج، وإن كانت هي القائد والمنفِّذ معاً، وليس هذا فحسب بل فرضت (أتاوة) أو (ضريبة) على الدول

(٤) . الكاتب: **الشخصية العربية في الأفلام الأمريكية** . مجلة **العربي** . الكويت . العدد ٣٥٣ . نيسان/ أبريل ١٩٨٨م . ص١١٠.

الغنيـة تحـت اسـم تغطيـة نفقـات الحـرب وتكاليفهـا، لتنفِّـذَ مخططاتهـا ومشاريعها على حساب الدول الأُخْرى.

تساءلنا فيما مضى عما إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكيَّة تنتظر فعلاً التَّدخُّل العراقي في الكويت، وكان الجواب بأن: نعم. ونتساءل الآن: لماذا تمنَّت ذلك وانتظرته؟

هـذا فـي حقيقـة الأمـر مـا يقودنـا إِلَـى الشِّـق الثَّـاني مـن المسـألة المطروحـة آنفـاً، والَّتـي تتنـاول مـدى التغيـرات الَّتـي سـتطرأ علـى السياسـة الأمريكية إزاء هذا الوضع العالمي الجديد، وفي الإجابة عن هذا السُّؤال لا بدَّ أن نعرض لمسألتين مهمتين أولاهما العقبات الَّتي تقف أمام الهيمنة الأمريكيَّة، أو ما يمكن أن نسميه مبدئياً: الموقف الأمريكي من الدول المتقدمة، وثانيهما الموقف الأمريكي من بلدان العالم الثَّالث وأقطار الوطن العربيِّ مندرجة ضمناً فيها، ثُمَّ الموقف الأمريكي من القضيَّة الفلسطينيَّة.

* * *

* * *

الفصل الثاني

الموقف من الدول المتقدمة

الولايـــات المتَّحِـــدَة لم تعـــد مركـــز الثقـــل الاقتصـادي ولا القـوَّة لاقتِصـاديَّة الأولى كمـا كانت، ولاسِيَّما بعـد ظهـور اليابـان وألمانيـا بوصفهما قوَّتين اقتصاديَّتين عظيمتين.

لَقَـــد كـــان الاتحـــاد الســـوفيتي، بـــل الشـــيوعية والاشـــتراكيَّة همـــا (البعبـــع) الـــذي تســـتخدمه الولايـــات المتَّحِـــدَة لتســـويغ ســـيادتهما وهيمنتهـــا علـــى الـــدُّوَل الرَّأســـماليَّة، وفـــرض سياســـاتها علـــى هـــذه الـــدُّوَل، لمـــا تمتلكـــه مـــن خصوصـــية القـــوَّة العســـكرية الأقـــدر علـــى حمايـــة الأنظمـــة الرَّأســـماليَّة مـــن الخطـــر الجـــاثم فوق رؤوسها والمتمثل (بالبعبع) الشيوعي.

الأمر الذي رتَّب على الولايات المتَّحِدَة لا أن تظهر بوصفها حاميةً وقائداً عسكريًّا فَقَطْ، بل بوصفها سنداً اقتصاديًّا وماليًّا يستطيع تمويل المشاريع الكبرى للمعسكر الرأسمالي، وقد ساعدها على ذلك تسارع وتائر التقدم والتطور التقني والعلمي الذي جعلها تقف في طليعة الدُّوَل الصِّنَاعِيَّة، متربعة على عرش اقتصادٍ يقوم على دعائم قويَّةٍ ومتماسكةٍ يمكنها من القيام بهذا الدور. هذا إِلَى جانب اعتمادها الكبير جدًّا على أموال البلدان الغنية بثرواتها الباطنية، هذه الأموال الطائلة الهائلة المودعة في مصارفها، والَّتي تتصرف بها تصرف المالك الحقيقي فتسد عجزها وتنفق على مشاريعها وتتبرع بعائداتها وفوائدها...

واستناداً إِلَى هذه المعطيات كانت الولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة تملي إرادتها على دول المعسكر الرَّأسمالي . إِلَى حدٍّ جِدِّ بعيدٍ . بكلِّ ما يخدم مصالحها ويعزز مواقعها الاقتِصاديَّة من فرض الدُّولار الأمريكي عملةً دوليَّةً أوَّلاً، وتخفيف أو رفع القيود الجمركيَّة عن بضائعها واستثماراتها، وفتح أسواق التصريف أمامها...

ولكن الآن تغير الحال وتبدل، لقد انهارت الاشتراكيَّة وتنكَّر أصحابها لها، وحُظِرَت الشِّيوعيَّة وحُوْرِبَت، وإن كان هذا التَّغيُّر والتَّبدُّل قد انتهى إِلَى ما يعتقد أنَّ الولايات المتَّحِدَة تتمناه وترجوه، وهذا يكاد يكون بحكم المؤكَّد، إذ إنَّ طبيعة الصِّراع تقتضي أن يسعى كلُّ فريقٍ إلى تجميد الخصم أو القضاء عليه، ولذلك لا يعدم الجانبان فيما مضى من محاولات شتى للوصول إِلَى ذلك، وبغضِّ النظر عن الدور الذي لعبه **چورباتشوف** في إنهاء الاتحاد السُّوفيتي والمنظومة الاشتراكيَّة فقد كان للولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة كبير الدَّور في ذلك أيضاً، وقد كُشِفَ النقاب مؤخَّراً عن خطَّةٍ سِرِّيَّةٍ لتدمير الاتحاد السُّوفيتي وإنهائه تَمَّتْ بَيْنَ الرئيس الأمريكي السَّابق **رونالد ريچان** والبابا، وفي ذلك تقول مجلَّة التَّايم الأمرِيكيَّة: «إن الرئيس الأمريكي السَّابق **رونالد ريچان** والبابا **بوحنا بولس الثاني** بابا الفاتيكان وضعا خطَّةً سرِّيَّةً عام ١٩٨٢م من أجل تنشيط اتحاد نقابات العمال المستقلَّة في بولونيا/ التَّضامن/ وزعزعة سيطرة الاتحاد السُّوفيتي السَّابق على أوربا الشَّرقيَّة».

وأضافت المجلة في عددها الصَّادر في ١٧ شباط/ فبراير ١٩٩٢م «أَنَّهُ تمَّ الاتفاق على ما وصفته المجلة بالحلف المقدس خلال اجتماع الفاتيكان في السَّابع من حزيران/ يونيو عام ١٩٨٢م بَيْنَ **ريجان** والبابا».

وقالت المجلة «إن هذا الحلف جزءٌ من استراتيجيةٍ أكبر كانت تهدف إِلَى تدمير الاقتصاد السُّوفيتي وإضعاف الرَّوابط الَّتي كانت تربط الاتحاد السُّوفيتي السَّابق وبقية الدُّوَل الأعضاء في حلف وارسو»(٥).

والحق أنَّ انهيار الاتحاد السُّوفيتي وانسحابه من ميدان المجابهة قَدْ وضع الولايات المتَّحِدَة في مأزق حَرِجٍ لا تحسدُ عليه، فإن كان ثَمَّةَ ما يسوغ في الماضي رضوخ الدُّوَل الرَّأسماليَّة للإرادة الأمريكيَّة فما الذي يسوِّغه الآن وقد انسحب الخصوم من الميدان، بل وتحالفوا معهم أيضاً..؟!

هذا من جهة... ومن جمة ثانية أنَّ الولايات المتَّحِدَة لم تعد مركز الثقل الاقتصادي ولا القوَّة لاقتِصاديَّة الأولى كما كانت، ولاسِيَّما بعد ظهور اليابان وألمانيا بوصفهما قوَّتين اقتصاديَّتين عظيمتين لهما دورهما المؤثِّر والفعال في النظام الاقتصادي العالمي أكثر مما تستطيع فعله الولايات المتَّحِدَة من دون النُّفوذ السِّياسيِّ والعسكريِّ.

لقد كانت اليابان خصوصاً وألمانيا ومازالتا أكثر من ندِّين ومنافسين للولايات المتَّحِدَة في الأسواق العَالميَّة، وليس من السهل البتة أن تقدِّم هاتان الدولتان، ولاسِيَّما بعد التطورات الجديدة، تنازلات تؤثِّر تأثيراً واضحاً في السيرورة الاقتِصاديَّة لهما. ذلك أَنَّهُ إذا كان من السهل أن تتنازل هذه

(٥). انظر ذلك في صحيفة **البعث**. دمشق. العدد (٨٧٧٣) تاريخ ١٨/ شباط/فبراير ١٩٩٢م. ص٣.

الدولة أو تلك عن بعض المكاسب أو حَتَّى معظمها في أسوأ الأحوال... فليس من السَّهل أبداً أن تقود نفسها إِلَى تضخُّمٍ أَو عجز في الميزان التجاري أو إِلَى أي خللٍ قَدْ يتعثَّر سدُّ فجوته، لأن الأمر لا يتوقف عند هذه الحدود وحسب، بل يتعداها إِلَى مخاطر شديدة ستلحق بهذه الدُّوَل، وهذا ما يشكل في حقيقة الأمر أحد أخطر التحديات والعقبات الَّتي تقف أمام استمرار امتداد النُّفوذ الأمريكي، وتساهم أيضاً، إِلَى حدٍّ كبيرٍ، في استمرار تدهور الاقتصاد الأمريكي، ولاسيما إذا ما أخذنا بعين الحسبان عاملين آخرين هما:

١ . الدُّوَل الصِّنَاعِيَّة الآسيوية النَّاشِئة الَّتي تسعى إِلَى مضارعة اليابان وألمانيا، وتشرئب إِلَى تبوء مكانة مهمَّةٍ من السَّاحة الاقتِصاديَّة العَالميَّة خصوصاً، والسِّياسَيَّة عموماً، ولتضطلع بدورٍ بارزٍ أيضاً في قيادة دفَّة السِّياسَة والاقتصاد العالميين، ومن هذه الدول: الصين والهند وكوريا وتايلند والفلبَيْنَ وسنچافورة وماليزيا... التي امتدت يد الهيمنة الاقتِصاديَّة لبعضها . إِلَى جانب ألمانيا واليابان . إِلَى قلب الولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة وكثيرٍ من الدُّوَل الأُوروبِيَّة عن طريق إقامة الاستثمارات فيها، وغزوها بالبضائع الَّتي تضارع البضائع الأُوروبِيَّة والأمرِيكيَّة جودةً ورخصاً.

وسيزداد خطر هذه الدُّوَل وتهديدها للهيمنة الأمرِيكيَّة إذا وصلت إليها عدوى التَّجمُّعات أو التَّكتُّلات الاقتِصاديَّة الَّتي تكاد تسم عصرنا الرَّاهن بطابعها. والحقُّ أنَّ هذه الفكرة ليست بعيدة عن أذهان قادة هذه الدُّوَل. وهي مشروعٌ مازال قيد الدِّرَاسَة. ولقد «وقَّع رؤساء رابطة جنوب

شرق آسيا مؤخَّراً اتفاقين مهمَّين لإقامة روابط اقتِصاديَّة بَيْنَ بلادهم والمساعدة في تحويل المنطقة إلَى منطقة تجاريَّة حرَّة.

كما وقَّع الرؤساء على اتفاق منفصلٍ يؤكِّد التزامهم بإقامة منطقة تجاريَّة حرَّة بحلول سنة ٢٠٠٨م، والتَّعاون في التجارة والاستثمار»[٦]. هذا إلَى جانب الاتفاقيات المتممة للسوق الاقتِصاديَّة المشتركة الَّتي كانت انعكاساً مباشراً لانتهاء الحرب الباردة وظهور التحالفات والتجمعات الاقتِصاديَّة في أوربا وأمريكا الشماليَّة.

ولا شكَّ في أنَّ إتمام ذلك سيؤثِّر على نحوٍ مباشر في الهيكليَّة الاقتِصاديَّة العَالميَّة الَّتي ستأخذ شكلاً آخر وطابعاً جديداً، مما سيؤثِّر في استمرار الهيمنة الأمرِيكيَّة مباشرة، ولاسِيَّما إذا ما أخذنا بعين الحسبان إمكان نشوء تكتلات اقتِصاديَّة أُخْرَى مثل رابطة منطقه البحر الأسود الَّتي تمَّ وضع خطوطها الأولية مؤخَّراً أيضا[٧] والَّتي تضمُّ تركيا ورومانيا وبلغاريا وروسيا ومولدافيا وجورجيا وأذربيجان وأرمينيا وأوكرانيا.

٢ . أمَّا العامل الثاني فهو الوحدة الأُوروبِيَّة بمحورها الاقتصادي خصوصاً، والسياسي والاجتماعي عموماً، الَّتي كان مقرَّراً لها أن تتمَّ في عام ١٩٩٢م، ولكِنَّها أرجئت إلَى عام ١٩٩٣م، وقد وُقِّعَت معاهدة هذه الوحدة في مدينة **ماستريخت** الهولندية في منتصف شباط/ فبراير ١٩٩٢م. فإنَّ هذه الوحدة تعدُّ أكبر خطرٍ وتهديد لاستمرار الهيمنة ا لأمرِيكيَّة، بغضِّ النظر عن الهيمنة العسكرية، لأنَّ إتمام هذه الوحدة

(٦) . جريدة البعث . دمشق . العدد ٨٥٨٧ . تاريخ ٣٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢م . ص٢.

(٧) . م. س . ذاته.

سيؤدِّي . إِلَى جانب الأسس الَّتي انطلقت منها ـ إِلَى نتائج عديدة أكثرها أهميَّةً:

أ . إغراق السوق الأُوروبِيَّة بالمنتجات الأُوروبِيَّة بتأثير تلاشى الحدود وإلغاء القيود الجمركية... وإغلاقها أمام البضائع الأمرِيكيَّة، سواء أكان هذا الإغلاق بمزيدٍ من الضرائب والقيود الجمركية الَّتي ستفرضها ظروف الوحدة الأُوروبِيَّة على البضائع الأجنبية، وهذا ما هو قائم فعلاً في دول المجموعة الأُوروبِيَّة، الأمر الذي أثار حفيظة الرئيس الأمريكي **جورج بوش** «ودفعه إِلَى مخاطبة دول المجموعة الأُوروبِيَّة بلهجة حادة، واتهام قادتها بالتخفِّي وراء غطاءٍ حديديٍّ هو القيود الجمركية»[٨]، أم كان ذلك بفعل المنافسة الَّتي ستقفُ مختلف المعطيات والظروف في أثنائها في صالح الوحدة الأُوروبِيَّة، مما سيُفقِدُ البضائع الأمرِيكيَّة مكانتها وميزاتها في السوق الأُوروبِيَّة والأسواق العَالميَّة.

ب . ويجب ألاَّ يفوتنا أيضاً أنَّ الاندماجَ الاقتصادي الأوربي في ظلِّ هذه الوحدة سيقود بصورةٍ أو بأخرى، وهذا ما هو مخطط له فعلاً، إِلَى توحيد النظم النقدية الأُوروبِيَّة وإدماجها في إطار نظام نقدي واحدٍ جديد، هذا الذي سيكون أكبر منافس للدولار الأمريكي، إن لم يحل مكانه فعلاً، وحقيقة الأمر أنَّ هذا النظام النقديَّ الموحد الذي يشرئب متبنوه إِلَى إحلاله محلَّ الدولار الأمريكي، إنَّما هو محاولة قديمة بدأت في أواخر عقد

(٨) . من خطاب الرئيس الأمريكي **جورج بوش** في الثالث عشر من شهر كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢م في مدينة كنساس الأمرِيكيَّة. انظر ذلك في: جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٧٤٥ تاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٩٢م . ص٢.

السبعينات من هذا القرن عندما بدأت الشكوك في مستقبل الدولار الأمريكي بوصفه عملةً دولية[٩] وذلك عن طريق وحدات حقوق السَّحب الخاصَّة، ولكن سرعان ما أجهضت هذه المحاولة، لتظهر من جديد بابتكار وحدة النقد الأوربى (إيكو . ECU) الَّتي يتمُّ التعامل بها الآن على نحوٍ متزايد بَيْنَ دول المجموعة الأُوروبِيَّة، وهذا يعني أنَّ الدولار الأمريكي آخذٌ في الانهيار فعلاً. وأن الهيمنة الأمرِيكيَّة على المنظومة الرَّأسماليَّة تحيق بها الأخطار التي ستقودها لا إِلَى حتفها، وإنَّما إِلَى كونها جزءاً من كلٍّ لا أكثر!! إذ المعلوم أنَّ عنصراً أساسيًّا من عناصر الهيمنة الأمرِيكيَّة هو عدُّ الدولار الأمريكي وحدة النقد الدولية، الأمر الذي يرفد الاقتصاد الأمريكي بمزيد من مقوِّمات القوَّة والهيمنة.

ج . إنَّ إتمام الوحدة الأُوروبِيَّة يعنى أنَّها «ستصبح من الآن وحَتَّى استكمال عناصر وحدتها أكبر تجمع اقتصاديٍّ دوليٍّ في العصر الحديث يتحكم بأكثر من ٦٠% من حجم التبادلات التجاريَّة الدوليَّة، إضافة إِلَى أَنَّهُ سيشكل تجمُّعاً بشريًّا قوامه أكثر من (٣٠٠) مليون نسمة سيكون لها دور مؤثِّرٌ وفاعلٌ على صعيد السِّياسَة الدولية في الوقت الراهن، وخاصة إثر زوال سياسة الاستقطاب العسكري مع انتهاء الحرب الباردة، وهو ما سيعطي هذا التجمع الاقتصادي الدولي أبعاداً إضافية من الأهمية»[١٠]. ولذلك فإن الاحتمال الأرجح هو أن نكون على أعتاب هيمنة أُوروبِيَّة على

---

(٩)- رمزي زكي: **هل انتهت قيادة أمريكا للمنظومة الرَّأسماليَّة العَالميَّة؟** - ضمن مجلة: **المستقبل العربي** - بيروت . العدد ١٣٨/ ٨ . ١٩٩٠م . ص٩.

(١٠) . ممدوح ا لأوس: **نحو دور أوربي أكثر فاعلية في السِّياسَة الدولية** . ضمن جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٧٧٣ . تاريخ ١٨ شباط/ فبراير ١٩٩٢م . ص٩.

السِّياسَـة والاقتصـاد العـالميين... الأمـر الـذي سـيثير الكثيـر مـن المسـائل والمشـكلات الَّتـي لـن يكـون مـن السـهل أبـداً حلهـا، ولَعَـلَّ نـزوع الوحـدة الأُوروبِيَّـة إِلَـى تعزيـز الجانـب العسـكري يجسِّـدُ أحـد أكثـر هـذه المسـائل أهميَّةً، ذلك أنَّ عجز الدُّوَل الأُوروبِيَّة عن بلوغ ما تصبو إليه فيما مضى يرتدُّ فـي معظمـه إِلَـى عجـز هـذه الـدُّوَل عـن تحقيـق نـوعٍ مـن التـوازن أو التكافؤ في ميزان القوى العسكرية مع قطبي العالم السَّابقين.

والحقُّ أنَّ هذه النتائج جدُّ طبيعية، بل تكاد تكون حتميَّة لأنَّ الوحدة الأُوروبِيَّة لم تأت نتيجة لأهواء أو رغبات عرضيَّةٍ، وإنَّما شأنها الآن شأن نشـوء القوميـات تمامـاً، فكمـا أنَّ المصـالح الاقتِصـاديَّة ووحـدة المصـالح المشتركة أدَّت إِلَـى نشـوء القوميـات وتبلورهـا، فكذلك الأمـر عينـة فـي دفـع هذه القوميات الأُوروبِيَّة إِلَـى الاتحـاد. وقد أدركت بعض الدُّوَل الأُوروبِيَّة أهميـة مثـل هـذه الخطـوة منـذ زمـن بعيـدٍ، الأمـر الـذي دفعهـا إِلَـى تكـوين السـوق الأُوروبِيَّـة المشـتركة منـذ عـام ١٩٥٧، ولتـأتي الوحـدة الأُوروبِيَّـة الحاليَّـةُ علـى مختلـف الأصـعدة؛ الاقتِصـاديَّة، والسِّياسَـيَّة، والاجتماعيَّـة، والدسـتوريَّة... تتويجـاً للقفـزات الهائلـة الَّتـي حقَّقتهـا السـوقُ الأُوروبِيَّـة المشتركة، على هذا الصعيد.

إنَّ الوحـدة الأُوروبِيَّـة بتجاوزهـا الحـدود، والقوميـات، والصـراعات الدمويَّة، والحروب الَّتي مرت بها القارة الأُوروبِيَّة منذ عشرات السنين... يعنـي أنَّهـا قادمـة بقـوةٍ وزخـمٍ كبيـرين، واضـعةً نصـب عينيهـا «الاسـتئثار

بالمزيد من مراكز النفوذ في عالم اليوم الذي يشهد طغيان المصالح الاقتِصاديَّة، ومن ثَمَّ السِّياسَة في العلاقات الدولية»(١١).

وهذا الأمر بالذات هو الذي دعا رئيس الوزراء الهولندي **رود لوبز** وهو يفتتح، في مدينة **ماستريخت** الهولندية، احتفالات التوقيع على معاهدة الوحدة الأُوروبِيَّة إِلَى القول: إنَّ «أوروبا اجتازت النقطة الَّتي لا يمكنُ العودة إليها.. وإنَّ ما جرى في **ماستريخت** هو لحظة تاريخية بالنِّسبة لدول المجموعة الأُوروبِيَّة مليئة بالرضا والأمل»(١٢).

فماذا ستفعل الولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة أمام هذا الواقع؟

مما لا شكَّ فيه أنَّ الولايات المتَّحِدَة الَّتي شعرت بنشوة التفرد لن تقفَ مكتوفة الأيدي أمام هذه التطورات الكبيرة الَّتي لا نشك في أنَّ لها دوراً أكيداً وواضحاً في إيصالها إِلَى ما وصلت إليه. فتتبع الأحداث ووثائق الماضي القريب خصوصاً يكشف لنا بجلاء عن الممارسات الأمرِيكيَّة الَّتي هَدَفَت إِلَى تعزيز مكانتها ودورها القيادي، ليس للمنظومة الرَّأسماليَّة وحسب بل للعالم كلِّه، وسنتناول هنا عدَّة محاور نعتقد أنَّها الأوفى والأكثر أهميَّةً:

التحكم بالوحدة الأُوروبِيَّة

لقد تحمَّل الأمريكيون الإنجليز عشرات السنين من الاحتلال، بل من بناء حضارةٍ إنجليزيَّة جديدةٍ على أرض غير إنجليزيَّةٍ، وليخلفوا هناك أحفاداً يحصدون ثمار صبر الأجداد. فقد جاء الآن

---

(١١) . م. س . ذاته.

(١٢) . م. س . ذاته.

وقت السداد، فمتتبعو الأخبار يدركون أنَّ إنجلترا ليست إلاَّ جزءاً مكمِّلاً للولايات المتَّحِدَة، إن لم تكن العصا التي تهش بها على الدُّوَل الأُوروبِيَّة- وغير الأُوروبِيَّة، لا تهديداً ووعيداً، وإنَّما بعرقلة كلِّ ما من شأنه أن يلحق الضَّررَ بالمصالح الأمرِيكيَّة «والمتتبع لتاريخ العلاقات الأمرِيكيَّة ـ البريطانية يجد أنَّها تعود إلَى عهد بعيدٍ بسبب التقاربِ الحضاريِّ والثقافيِّ بَيْنَ البلدين، وإن كانت بدأت تنمو باطراد عندما نَجَحَ **ونستون تشرشل** في جرِّ الولايات المتَّحِدَة إلَى الدخول إلى جانب الحلفاء الأوربيين في الحرب العَالميَّة الثانية، ومنذ ذلك التاريخ بقيت بريطانيا تمارس دور الحليف الذي لا يخالف في مصادمات الولايات المتَّحِدَة وتورُّطاتها خارج حدودها»[١٣].

ولذلك، ومنذ بدأ مشروع الوحدة الأُوروبِيَّة . على سبيل المثال لا الحصر ـ وإنجلترا تقف حجر عثرة أمام تنفيذ هذا المشروع بصورة أو بأُخْرَى، ولاسِيَّما مشروع توحيد النظام النقدي بإدماجه في وحدة نقدية واحدة وإشراف مصرف مركزيٍّ واحدٍ، لما سيكون له من دور حاسم في زعزعة الاقتصاد الأمريكي والهيمنة الاقتِصاديَّة الأمرِيكيَّة، وعلى هذا الأساس «ظلَّت **مارجريت تاتشر** تعارض الوحدة الأُوروبِيَّة ردحاً طويلاً من الزَّمن»[١٤]، ثُمَّ ليأتي خَلَفَهَا **جون ميجر** متابعاً مسارها، وهذا هو ذاته

(١٣) ـ حنان محمد: **فتور العلاقات الأمرِيكيَّة ـ البريطانية**... ـ جريدة **تشرين** ـ دمشق ـ العدد ٤٦٦٥ ـ تاريخ ١٠ كانون الثاني/ يناير ـ ١٩٩٠م ـ ص٨.

(١٤) ـ م. س ـ ذاته.

يصرِّح «بأنَّهُ لن يسمح للمجموعة الأُوروبِيَّة أن تتحول إِلَى ولايات متحدة أُوروبِيَّة، وأَنَّهُ يريد أن تكون أوربا مجموعة دول قوميَّة»(١٥).

هذا فيما خلا آليات العرقلة الداخلية الَّتي قَدْ يكون للولايات المتَّحِدَة فيها دور وقد لا يكون، إذ إنَّ «الاتفاق الذي وقعته الدُّوَل الأُوروبِيَّة الإثنتا عشرة في **ماستريخت** وهو الذي ينظِّم أسس اتحادها المالي والتجاري والسياسي... لم ينجُ هو الآخر من النقاش والجدل، إذ بَذَلَ قادة المجموعة الأُوروبِيَّة جهوداً مضنيةً في قمَّتهم الَّتي عقدت خلال شهر كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٩١م لإقراره من أجل وضعه موضع التنفيذ من الآن وحَتَّى السنوات القليلة القادمة»(١٦).

وهذا مما يكشف بجلاء عن الإرادة الأُوروبِيَّة القوية الصلبة، وعن عزمها الجادِّ والحازم من أجل تحقيق الوحدة، محاوِلةً دائماً تجاوز كلِّ الصعوبات والعراقيل الَّتي قَدْ تعترض طريقها، واحتواءها قَدْرَ المستطاع، ومنها التَّصلُّب الإنجليزي، ولذلك فقد «تجاوزت الكثير من الانتهاكات الَّتي قامت بها بعض الدُّوَل للأنظمة المتفق عليها، عادَّةً أنَّ ذلك لم يؤثِّر في جوهر الاتفاقية»(١٧). وهذا مما سيضع الولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة أمام الأمر الواقع، والخيارات الصعبة في آن معاً، فما هي هذه الخيارات؟

---

(١٥) . من خطاب رئيس الوزراء البريطاني **جون ميجر** في الثامن والعشرين من شهر نيسان/ أبريل . ١٩٩٢م . ضمن جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٨٢٨ . تاريخ ٢٩ نيسان/أبريل ١٩٩٢م.

(١٦) . ممدوح الأوس: **نحو دور أوربي أكثر فاعلية في السِّياسَة الدولية** . ذاته.

(١٧) . **سنة العدِّ التنازلي الأُوروبِيَّة تبدأ** . ضمن جريدة **البعث** . دمشق . عدد ١٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢م . ص٨.

النفوذ السياسي

إنَّ النُّفوذ السِّياسي للولايات المتَّحِدَة الأمريكيَّة في معظمه إنَّما يُستمدُّ من حلفائها، أي أولئك الذين يفترض أنَّها ستستخدم ضدَّهم هذا النفوذ!

وإن كان هذا الأمر منطوياً على بعض المفارقة فإن الولايات المتَّحِدَة لو أرادت أن تتحدى أو تواجه الوحدة الأُوروبِيَّة عن طريق فرض النفوذ السياسي، لرُبَّما أمكنها ذلك. ولكن وفي حقيقة الأمر فإن ذلك ليس في مصلحتها بحالٍ من الأحوال لأنَّها إذ تخوض مثل هذه المعركة فإنَّها ستخلق جبهةً جديدةً تحل مكان الجبهة المنسحبة، أو المهزومة على حدِّ تعبير الرئيس الأمريكي **جورج بوش**[١٨]، مما يقود إِلَى الانقسام مرَّة أُخْرَى إِلَى تكتلات سياسية جديدة ذات صبغة عسكرية، أساس الخلاف فيها والانقسام هو المصالح الاقتِصاديَّة المتضاربة، بل التناحر في سبيل المصالح الاقتِصاديَّة، لا الصراع العقائدي. وسيكون حلفاء الأمس هم خصوم اليوم، ورُبَّما يقف خصومُ الأمس معهم أيضاً. ومن المرجَّح بل المؤكد أنَّ الولايات المتَّحِدَة ستكون الطرف الخاسر إذا هي فكَّرت في خوض لجة هذه المعركة، والأسباب كثيرة جدًّا، أساسها الطاقات الاقتِصاديَّة الهائلة ذات المواصفات الحركية والحيوية لدول المجموعة أو الوحدة الأُوروبِيَّة، الَّتي تبز بكثير ما تمتلكه الولايات المتَّحِدَة الأمريكيَّة، التي ستحتاج إِلَى زمن طويل نسبيًّا لإعادة بناء هيكليتها الاقتِصاديَّة على نحوٍ موازٍ ومكافئ للهيكليَّة الأُوروبِيَّة المنافسة، ولاسِيَّما أيضا أنَّ الاقتصاد

(١٨) . ورد ذلك في خطابه الذي ذكر سابقاً.

الأمريكي يعاني من أزماتٍ داخلية شديدةٍ إِلَى جانب تلك الخارجيَّة الَّتي أشرنا إليها.

ولقد أدركت الولايات المتَّحِدَة خطورة هذا الموقف، ولذلك فهي تحاول أن تظهر بمظهر المؤيد والمبارك لهذه الوحدة الَّتي لم تتمَّ حَتَّى الآن. ولا ندري ما إذا كان في جعبتها ما يمنع قيام هذه الوحدة أو يعرقل سيرها، أو يقود إِلَى طيِّها تحت جناحها، إِلَى جانب أسلحة المواجهة الأُخْرى.

على أنَّ هذا الاحتمال لو تمَّ فإنَّهُ ذو نتائج خطيرة على العالم النامي خصوصاً. وَيَمْثُلُ وجه الخطورة في إعادة اقتسام العالم إِلَى مناطق نفوذ وسيطرة، بل عودة الاستعمار من جديد، كما كان الأمر تماماً مع نشوء الرَّأسماليَّة وبداية تصاعدها، إذ لم يكن ثَمَّةَ صراعٌ حينها بَيْنَ عقائديات متقاطبة، وإنَّما الذي كانَ هو تنافسٌ وتناحرٌ على أسواق التَّصريف ومصادر الثروة والمواد الأوَّلية... وهو الأمر عينه الذي نجدنا أمامه فيما لو عاد هذا التنافس والتناحر.

وعلى رغم ذلك كلِّه لم تتورَّع الممثِّلة التِّجاريَّة الأمريكيَّة **كلارا هيلز** عن تهديد دول المجموعة الأُوروبِيَّة بالعقوبات الاقتِصاديَّة فقد «نقلت وكالة رويتر عنها أَنَّهُ إذا لم تُجْرِ المجموعة إصلاحات خاصَّة بها، أو في حالة إخفاق محادثات الإصلاح فإنَّ إجراءات العقوبات . الَّتي ستفرض عليها بحلول الأول كانون الثاني/ يناير ١٩٩٣م . ستمضي قدماً.

وقالت: يتعين أن نوضح أنَّنا لن نقف مكتوفي الأيدي في الوقت الذي تفرض فيه المجموعة الأُوروبِيَّة قواعد تَمْييزيَّة تضرُّ بالتجارة والعمال الأمريكيين»[١٩].

النفوذ العسكري

إذا كان من الصعب على الولايات المتَّحِدَة أن تحقِّق ما تصبو إليه في استمرار هيمنتها عن طريق النفوذ السياسي، لأنَّ ذلك ليس من مصلحتها، ولاسِيَّما في ظلِّ الظروف الراهنة، وما آل إليه العالم من تغيرات وتبدُّلات كثيرة قلبت مختلف الموازين، فإنَّهُ من الأصعب أن تستخدم النفوذ العسكري، بتهديد أو مواجهة مباشرة مع حلفائها لضمان استمرار نفوذها وهيمنتها، ليس لعجز في ميزان القوى العسكرية البتة، فالولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة هي الأقوى عسكريًّا من غير منازع، ولاسِيَّما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وتشتت قواه وتناثرها، ولاسِيَّما أيضاً أنَّ الولايات المتَّحِدَة مازالت تحتفظ بقواعدها العسكرية في هذه الدُّوَل، وكثيرٍ من دول العالم المتناثرة، ومعظمها يتمتع بمواقع استراتيجية مهمَّة، ليبدو من خلال ذلك أنَّ المواجهة العسكرية أسهل على الولايات المتَّحِدَة، وهو ليس كذلك في حقيقة الأمر، لأنَّ أيَّ مواجهة عسكرية من هذا النوع ستضع الولايات المتَّحِدَة والعالم أجمع في إرباكات جدِّ خطيرة ليس من السهل أبداً الخروج منها.

هذا في أيسر الاحتمالات، لأنَّ كل الاحتمالات المتبقية لن تقلَّ عن الكوارث والفواجع الَّتي لا حل لها. ومن ثَمَّ فإنَّ الوفاق الظاهري على

(١٩) ـ جريدة **البعث** ـ دمشق ـ العدد ٨٧٧٨ ـ تاريخ ٢٤ شباط/ فبراير ١٩٩٢م ـ ص٣.

الأقل هو المفروض على جميع الأطراف. وفي المقابل يظلُّ باب التنافس مفتوحاً، هذا التنافس الذي سيفرض على جميع الأطراف البحث عن مختلفِ الإمكانات الَّتي تعزز مواقفها ومواقعها، وتقودها على نحو أو آخر إِلَى مراكز الصدارة والهيمنة الَّتي يعدُّ الجانب العسكري الجزء المرجح والأكثر أهميَّة فيها. وانطلاقاً من ذلك تتجهُ بعض الدُّوَل الأُوروبِيَّة واليابان إِلَى تعزيز الصناعات الحربية للوصول إِلَى درجةٍ من الكفاءة تؤهلها للوقوف في مراكز متقدمة من الصدارة والقوة وتمكِّنها من الحفاظ على مواقعها.

وهذا ما يقودنا إِلَى الحديث عن سياسة نزع التسلح والحدِّ من انتشار الأسلحة النووية والاستراتيجية الَّتي وسمت السَّنوات الأخيرة المنصرمة بطابعها. ولكنَّ المشكلة تكمن في أنَّ هذه السِّياسَة قَدْ كانت بَيْنَ قطبَيْنَ متصارعين لامتصاص حدَّة التوتر والقلق العالمي في ظلِّ حرب الأعصاب الباردة. أمَّا الآن وفي ظلِّ هذا الوضع الجديد فإنَّ هذه السِّياسَة ستأخذ طابعاً جديداً بكلِّ تأكيد، ولا أعتقد إلا أنَّ الأضعف هو المقصود دائما بتقليم الأظافر[٢٠]، أعنى بذلك انتزاعَ عناصر القوَّة منه وتطبيق مبادئ الشرعية الدولية عليه، وليبقى الأقوى هو الأقوى.

وفي حقيقة الأمر فإنَّ ذلك ليس يعني أبداً أنَّ الولايات المتَّحِدَة لن تحاول البتة ممارسة بعض الضغوط السِّياسَيَّة المباشرة، والعسكرية غير المباشرة على هذه الدُّوَل لتخفيف القيود عما يخدم مصالحها بعيداً عن المواجهة المباشرة ولاسِيَّما مع أوربا الموحدة المنتظرة، وقد أعلن الرئيس

(٢٠) . هذا ما سنعرض له في فصل قادمٍ هو: الحرب من أجل السلم.

الأمريكي **جورج بوش الأب** ما يشبه ذلك إذ قال: إنَّهُ «عاجلاً أو آجلا يجب على المجموعة الأُوروبِيَّة التوقف عن الاختباء خلف غطائها الحديدي من الحماية الجمركية»[٢١]. وفي تهديدات **كلارا هيلز** سالفة الذكر ما يؤكِّد ذلك أيضاً خير تأكيد.

أمَّا الضغوط العسكرية غير المباشرة، أو استخدام النفوذ العسكري غير المباشر في مواجهة الولايات المتَّحِدَة الدُّوَل المتقدمةَ، سيَّان أكانت من حلفائها، أو خصومها فيما قد مضى وسلف، فقد مارستها الولايات المتَّحِدَة كثيراً ومازالت تمارسها، وإذا ما عدنا أدراجنا قليلاً إِلَى الوراء لوجدنا الكثير الكثير من الاعتداءات الأمرِيكيَّة على البلدان النامية، أو بلدان العالم الثالث، «فهناك غزو چرينادا في عام ١٩٨٣، إيران وأفغانستان ١٩٧٨م . ١٩٧٩م، الهند، سيريلانكا، كوبا، كوريا، الدومينيكان، نيكاراچوا، ناميبيا، جواتيمالا، السلفادور، هندوراس، فيتنام»[٢٢].

ولقد انطلقت هذه الاعتداءات من تخطيطات مُسَبَّقة تتطلع إِلَى تحقيق أهدافٍ معيَّنةٍ بذاتها، فهي إمَّا للهيمنة على مواقع استراتيجية، أو لوجود تيارات عقائدية لا تتَّفق مع الهوى والميل الأمريكي، وإمَّا لتهديد أطراف معيَّنةٍ، وإمَّا لتعزيز الهيمنة والنفوذ الأمريكيين على الصعيد العالمي؛ واقعيًّا ونظريًّا، من حيث إنَّها تفعل ما تشاء من غير ما رادعٍ،

---

(٢١) . قال ذلك في خطابه المذكور آنفاً.

(٢٢) . الدكتور بهاء لطفي قابيل: **العنف السياسي عربيًّا ودوليًّا** . ضمن مجلة **الوحدة** . العدد ٩١ . نيسان/ أبريل ١٩٩٢م . ص٥٢.

فتضع وترفع، وتعطي وتمنع كما تشاء و«لقد انبنت هذه السِّياسَة ـ في هذه الاعتداءات ـ الَّتي أرادت إحياء الحرب الباردة، على التلويح بالعصا في مواجهة الأنظمة الَّتي تتجرأ على المجادلة في الهيمنة الأمرِيكيَّة... ـ ومن يعترض على هذه السيادة والهيمنة فقد جنى على نفسه ـ وفي ظلِّ هذا التَّفكير تمَّ تصنيف مجموعةٍ من الدُّوَل تحت لائحة الأنظمة الَّتي ينبغي تأديبها»[٢٣].

ولهذه السِّياسَة جذورها التاريخيَّة المرتبطة بالتوجهات والتطلعات الأمرِيكيَّة منذ زمنٍ ليس بالقريب، تعود إلى «سياسة الاحتواء Containment Policy الَّتي ميَّزت السِّياسَة الأمرِيكيَّة بعد الحرب العَالميَّة الثانية، والَّتي تَمَّ التخطيط لها من طرف **جورج كينان**، وطبَّقها الرئيس **ترومان** خلال الحرب الباردة الَّتي سادت العلاقات الدولية حَتَّى أواسط الخمسينات. غير أنَّه تَمَّ التراجع عن هذه السِّياسَة على نحوٍ أساسيٍّ في بداية السبعينات، إثر الهزيمة الشنيعة في فيتنام، وسيادة روح الوفاق في النظام الدولي، وتمَّ تعويضها بما سمي بعقيدة **نيكسون** ليتمَّ اعتناقها مجدَّداً، وتمجيدها من طرف **ريجان** وأنصاره تحت شعار إعادة الهيبة والنفوذ للولايات المتَّحِدَة»[٢٤].

وعلى الرَّغْمِ من أنَّ هذه الاعتداءات والتدخلات في جملتها هي من أجل إحكام السيطرة والنفوذ الأمريكيين، وتهديد الدُّوَل والأنظمة الَّتي تفكر

(٢٣) ـ الحسان بو قنطار: **حول بعض حالات العدوان على الوطن العربي** ـ ضمن مجلة **الوحدة** ـ المغرب ـ العدد ٦٧ ـ نيسان/أبريل ١٩٩٠م ـ ص١٠٥– ١٠٦.

(٢٤) ـ م. س ـ ص ١٠٥.

في أن تشب على الطوق الأمريكي، والتحكم بمصائر الطاقة الَّتي تعتمد عليها الدُّوَل المتقدمة اعتماداً شبه كليٍّ فإنَّ الولايات المتَّحِدَة لم تعدم التَّسميات اللبقة لتغطية هذه الاعتداءات والتدخلات وتسويغها في مختلف بلدان العالم فهي «إما لحماية حقوق الإنسان في عهد **جيمي كارتر** أو للدفاع عن النفس في عهد **رونالد ريجان** أَو لمحاربة المخدرات في عهد **جورج بوش**. وهي كلها مسوِّغَات تدخل في استراتيجيا شموليَّة، الهدفُ منها . إلى جانب ما أسلفنا ـ التَّمهيد لإزاحة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشيوعي بأجمعه من السَّاحة الدولية، أي ساحة الصراع الأيديولوجي مع المعسكر الرأسمالي، وبالتالي بناء أسس نظام دولي جديد تحت القيادة الأمرِيكيَّة، تعتمدُ فيه القوَّة والقانون من أجل توجيه العلاقات الدولية»[٢٥].

رابعا: عودة الاستعمار

إنَّ الصُّعوبات الَّتي تواجه الولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة في استخدام سطوتها العسكريَّة والسِّياسَيَّة في مواجهة الدُّوَل العظمى قادتها . كما أشرنا ـ إلى مواجهات أُخْرَى تُمكِّنُها من فرض هيمنتها على الدُّوَل العظمى بصورة غير مباشرة عن طريق هيمنتها على المناطق الاستراتيجيَّة، وأسواق التَّصريف، ومنابع الثروة، والمواد الأوليَّة في البلدان النامية والمتخلفة. ولَعَلَّ في هذا ما يقودنا إلى السُّؤال المطروح آنفاً، وهو:

---

(٢٥) ـ المختار مطيع: **النظام الدولي الجديد وتهديدات أمن الجماهيريَّة الليبية** ـ ضمن مجلة الوحدة ـ العدد ٩١ ـ نيسان/ ابريل ـ ١٩٩٢. ص ٧٥.

لماذا انتظرت الولايات المتَّحِدَة تدخلاً عراقيًّا في الكويت، أو لنقل: أي خلخلة في الخليج العربي؟.

إنَّ الموقعَ الجغرافيَّ للخليج العربي، بل لشبه الجزيرة العربية، من أكثر المواقع (الاستراتيجية) أهميَّةً في العالم، وإذا ما أضفنا إلَى هذه الأهميَّة بحور النفط . عصب العصر . الَّتي يعوم عليها الخليج العربي، ومخزونها الهائل بالقياس إلَى الاحتياطي العالمي، إلى جانب غزارة الإنتاج وسهولته أيضاً، لأدركنا مدى أهميَّة هذه المنطقة، وأنَّ من يتحكم بهذه المنطقة هو الأكثر قدرة على التحكم برقاب الدُّوَل الصِّنَاعِيَّة. وهذه الحقيقة مؤكَّدة ومسلَّمٌ بها، وهذا هو الرئيس الأمريكي **جورج بوش الأب** يقول عقب الاجتياح العراقي للكويت: «منذ نصف قرن دفعت أمتُّنا والعالم ثمناً غالياً نتيجة استرضاء المعتدي الذي كان من الممكن ومن الواجب إيقافه. ونحن لن نكرِّرَ هذا الخطأ»... ثُمَّ يتابع قائلاً: «إن أشغالنا وطريقة حياتنا وحريَّتنا وحرية الدُّوَل الصديقة حول العالم... كل ذلك سيتعرض للمعاناة إذا أصبحت السَّيطرة على احتياطي الوطن الكبير من النفط في يد هذا الرجل الواحد **صدام حسين**»[٢٦].

وهذا هو أيضاً **جيمس بيكر** وزير الخارجيَّة الأمريكي يعلِّق بالمناسبة ذاتها قائلاً: «ما هو على المحكِّ اقتصاديًّا هو اعتماد العالم على إمكانيَّة الحصول على موارد الطاقة من الخليج... المشكلة لا تتعلَّق

(٢٦). من خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب الذي ألقاه في ١٥ آب/ أغسطس ١٩٩٠م أمام موظفي البنتاجون. انظر ذلك في:

Washington Post. 16 November. 1990.

تماماً بالموضوع الضيِّق الذي هو تدفق النفط من الكويت والعراق، ولكِنَّها تتعلَّق بدكتاتور يمكنه لوحده إذا لم يجد تحديًّا أن يخنق النِّظام الاقتصادي العالمي بحيث يحدد بقرار منه ما إذا كنا سنعاني من ركودٍ اقتصادي، أَو حَتَّى أن ندخل نفق الكساد المظلم»[٢٧]. ويكرِّر المعنى ذاته مرَّةً أُخْرَى فيقول: «إذا أردتُ تلخيص الهدف بكلمة واحدة أقول الأشغال. لأن ظهور ركود اقتصادي عالمي بسبب سيطرة أمَّة واحدة أَو دكتاتور واحدٍ على الشريان الاقتصادي للغرب سيؤدِّي إلى خسارة المواطنين الأمريكيين أعمالهم»[٢٨].

ولذلك كلِّه تمنَّت الولايات المتَّحِدَة أي خلخلةٍ في هذه المنطقة، لتسويغ حشد جيوشها فيها، وإسباغ الشرعية الدولية عليها، لأنَّها لا تريد أن يتحكم العرب أو **صدام حسين** بمصائر الثروة والطاقة، فهذا في نظرها حقها وحدها، ولا تريد أن يكون لغيرها القدرة على خنق الدُّوَل الصِّنَاعِيَّة أَو التحكم بشرايين حياتها ومقومات قوتها.

وإن كان للولايات المتَّحِدَة قواعد عسكرية في منطقة الخليج العربي قبل الأزمة فإن الأزمة جاءت خادمةً للمصالح الأمريكيَّة . في ظلِّ الظروف الراهنة ـ بصورة أو بأخرى، إذ كرَّست الوجودَ الأمريكي في المنطقة، وأعطته مسوِّغاً ليس في نظرِ الشَّرعيَّة الدولية وحسب، وإنَّما في نظر دول المنطقة أيضاً. وبذلك امتلكت الولايات المتَّحِدَة عنصراً مهمًّا من

(٢٧) . من خطاب وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر في ٤ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٩٠ أمام لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب الأمريكي. انظر ذلك في المصدر السَّابق.

(٢٨) . من خطابه في ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٠م. انظر ذلك في المصدر السَّابق.

العناصر الَّتي تعينها على استمرار فرض نفوذها وهيمنتها، وعنصراً من عناصر الضَّغط على الدُّوَل العظمى.

خامساً: البدائل الأخرى

إنَّ الاعتقادات السَّائدة في الآونة الأخيرة، ولاسِيَّما إثْرَ انهيار المنظومة الاشتراكيَّة، تميلُ إلى القول بأنَّ قيام الوحدة الأُوروبِيَّة سيؤدِّي إلى تشكُّل نظامٍ اقتصاديٍّ عالميٍّ جديدٍ، ثلاثيِّ الأقطاب، وهذه الأقطاب هي: اليابان، وأوربا الموحدة، والولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة، وفيما بَيْنَ هذه الأقطاب الثلاثة سيكون التَّنازعُ على مركز الثِّقل العالمي، «ومن ثَمَّ فإنَّ القرارات الاقتِصاديَّة المهمَّة، سواء التجاريَّة أو الماليَّة أو المتعلِّقة بالخدمات، سوف يتمُّ اتخاذها أكثر من أي وقت مضى.. إمَّا في أمريكا وأوربا واليابان كلٍّ على حدة، أو بالاتفاق بَيْنَ هذه الكتل الثلاث. وبذلك فإنَّ الضلع الأوربي في مثلث القوى هذا سوف يزداد أهميَّة وتوازناً حينما تتعلم أوربا أن يكون لها صوتٌ موحَّدٌ في قضايا التجارة والمال في العالم»[٢٩].

ولأن ذلك ليس يُرضي الولايات المتَّحِدَة الَّتي ترغب ـ وتسعى، ولاسِيَّما بانهيار الاتحاد السوفيتي ـ بنقل «نظام العلاقات الدولية من نظام الاستقطاب الثنائي، إلى نظام القطب الواحد، أي

(٢٩) . انظر ذلك في مداخلة ايرهارد راين في ندوة: **العرب وأوربا عام ١٩٩٢م**، الَّتي عقدها مركز الدراسات العربية بالقاهرة من ٢ . ٥ نيسان/ أبريل ١٩٨٩م...

القطب الأمريكي الذي ترك لها المجال لإدارة شؤون العالم»[٣٠]... كان عليها أن تبحث عن البدائل الأُخْرى الَّتي تتحالف معها لمواجهة هذين القطبين.

وبالفعل بدأت لولايات المتَّحِدَة تجربة نوعية على هذا الصعيد، فقد «سعت مؤخَّراً إلى مواجهة مفعول هذه العوامل بعقد اتفاق التبادل الحر بينها وبَيْنَ كندا، في محاولة منها لتوسيع قوتها الاقتِصاديَّة بإيجاد كيان اقتصادي «أكبر لمواجه العملاقين الآخرين؛ أوربا الموحدة واليابان. وتأمل الولايات المتَّحِدَة من وراء عقد هذا الاتفاق أنَّ تواجه ضعفها النسبي المتزايد داخل المنظومة الرَّأسماليَّة العَالميَّة، وفي الوقت نفسه تواجه مشكلاتها الاقتِصاديَّة الداخليَّة. وقد عبَّر الرئيس السَّابق **رونالد ريجان** عن ذلك عندما أعلن في ٤ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٧م في رسالة وجهها إِلَى الشعب الأمريكي حينما قال:

«سوف تترتَّب على هذا الاتفاق آثارٌ ذاتُ فائدة جَمَّةٍ للولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة فسوف يزيل كلَّ التعريفات الكندية، ويكفل منفذاً أفضل إلى السوق الكنديَّة في قطاعات الصناعة والزراعة والتقانة المتقدمة والقطاع المالي، كما سيعزِّزُ أمَّتنا بفضل ما يوفِّر لنا من حريَّة أكبر في الحصول على احتياجاتنا من موارد الطاقة الكندية، وقد حصلنا بموجب

(٣٠) . المختار مطيع: **محاولة في تفسير طبيعة النظام الدولي الجديد وموقع العرب منه** . ضمن مجلة **الوحدة** . العدد ٩٠ . آذار/ مارس . ١٩٩٢م . ص١٨.

هذا الاتفاق على إمكانات استثماريَّة كبيرة، واستطعنا تسوية عدَّة منازعات تجارية»[٣١].

ولكن السؤال هو: إلى أيِّ مدى سيكون هذا الاتفاق عاملاً يعوض ما افتقدته الولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة من مكانةٍ قياديةٍ في المنظومة الرَّأسماليَّة؟ وأغلب الظنِّ أنَّها لن تعوِّض ذلك»[٣٢]. وهذا ما دفعها إلَى البحث عن بدائل أخرى أيضاً، والَّتي كان من جملتها بسط هيمنتها الكليَّة على أهمِّ مصادر الثروة والمواد الأوليَّة، إلى جانب سابق هيمنتها على المناطق الاستراتيجية وكثير من أسواق التصريف.

وماذا هناك من بدائل أيضا؟

إنَّ انضمام الولايات المتَّحِدَة إلى الوحدة الأُوروبِيَّة، على غرار ما كانت تفعل في الاتفاقات والمعاهدات الأُوروبِيَّة فيما مضى، قد بات أمراً متعذَّراً إلى حدٍّ جدِّ بعيد، لأنَّ أهداف هذه الوحدة لا تتمثل بالمصالح الاقتِصاديَّة وحدها، فهي ذات مصالح وأغراض سياسيَّة أيضاً، أكثرها أهميَّة الخروج من ربقة الهيمنة الأمرِيكيَّة. ومن ثَمَّ فإنَّ انضمام الولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة إلى هذه الوحدة بصورة أو بأخرى لن يكون أبداً على حساب مصالح البيت الأوروبي، كما كان في الماضي، لأنَّ ما كان مسوَّغاً في الماضي بفضل (البعبع) الشيوعي المتربص على حدود أوربا الغربيَّة، لم يعد مسوَّغاً الآن...

---

(٣١) . لوي جيل: **الكنديون: الرعايا الجدد الصَّاحبة الجلالة الليبرالية** ـ ضمن مجلة **لوموند ديبلوماتيك** ـ شباط/ فبراير . ١٩٨٩م . ص١٠.

(٣٢) . رمزي زكي: م. س . ص١٦.

ولكنَّ الولايات المتَّحِدَة سرعان ما وجدت (الفزَّاعة) الجديدة الَّتي تحلُّ محلَّ (البعبع) الشيوعي، هذه (الفزَّاعة) هي الخطر والتَّوحُّش القادم من الجنوب، أو خطر الأصولية الإسلاميَّة الَّتي تظهرها الولايات المتَّحِدَة على أنَّها أشدُّ خطراً من الشيوعيَّة على العالم، ولقد صوَّرت الولايات المتَّحِدَة حرب الخليج على أنَّها حربٌ بَيْنَ الشمال والجنوب، كما رسمت استراتيجيا خاصَّة لكلِّ مدٍّ إسلامي في العالم، محاولة إظهار أنَّ لكلِّ حركة أو مدٍّ ظروفه الخاصَّة الَّتي تفرض على الولايات المتَّحِدَة أسلوب التعامل معها. «فبعد أن كانت الإدارة الأمرِيكيَّة تؤيِّد كلَّ ما يأتي به توجُّه ديمقراطي إلى الحكم، وتعلن أنَّها تعمل على تعزيز الديمقراطية مهما كانت نتائج ذلك، قال مساعد وزير الخارجيَّة الأمرِيكيَّة **إدوارد جيرجيان** في المغرب إبان جولته الأخيرة شيئاً مناقضاً، إذ رفض وصول الإسلاميين إلَى الحكم من خلال الديمقراطية لأنَّهُم، (سوف) يصلون بها ثُمَّ يحجبونها عن سواهم.

وهذا القول ابنٌ لأقوالٍ أخذت في النُّمو بعد حرب تحرير الكويت وبداية التَّحرك في الجزائر، إذ عَدَّلت الإدارة الأمرِيكيَّة آنذاك مسار تحرُّكها على أساس أنَّها قد تضطر إلَى اتِّخاذ مواقف انتقائية من انتصارات الديمقراطيَّة أو ما تفرزه الممارسة الديمقراطيَّة من قوى مرشحة لاستلام الحكم في الوطن العربي»[٣٣].

وعلى رغمِ انجرافِ الدُّوَل الغربيَّةِ وراء هذا التَّوجُّهِ الأمريكيِّ الذي بدا واضحاً في تعليقات الإعلام الغربي على نجاح جبهة

(٣٣) . علي عقله عرسان: **زيارة بيكر والاستراتيجيا الأمر بكية ا لإسرائيلية المقبلة** . ضمن جريدة **الأسبوع الأدبي** . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . العدد (٣٢١) . ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٩٢م . ص١١.

الإنقاذ الإسلامي في الجزائر في الوصول إلى الحكم، إلا أنَّ هذا الانجراف تعبيرٌ عن المصالح الغربية (الأُوروبِيَّة)، ولذلك فإنَّ استخدام هذه الورقة في الضغوط الأمرِيكيَّة على أوربا لن يكون ذا تأثيرٍ فعَّال ولاسِيَّما مع تفكُّك أواصر العلاقات العربية والإسلامية وترهلها في الوقت الراهن.

والحقيقة أنَّ ثَمَّةَ تحدياً آخر للهيمنة الأمرِيكيَّة ينبثق من قلب أوربا الغربية، ويتجه إِلَى تعزيز التفاصل والتقاطب بَيْنَ الولايات المتَّحِدَة الأمرِيكيَّة والأمم الأُوروبِيَّة المتَّحِدَة خصوصاً، وأوربا عموماً، ذلك أنَّ ألمانيا، من جهتها، «استيقظت من شبه إغفاءتها السِّياسَيَّة الَّتي سجنها فيها انهيار الحلم الهتلري. إنَّها، وقد أُعيد توحيدها منذ عام ١٩٨٩، تستعيد رسالتها بوصفها **قلب أوربا الوسطى**، ومن ثَمَّ فالموقف الضعيف الذي تبنته خلال أزمة الخليج لم يكن علامة ضعفٍ، بل هو على العكس من ذلك علامة قوَّة. إنَّها تبدو وكأَنَّها تقف إلى جانب واشنطن، لكنَّ الواقع، هو أنَّها لا تقوم بذلك إلا لأنَّها مشغولة تمام الانشغال بتأسيس توسعها الخاص في أوربا الوسطى، بادئة بهضم ما كان (ألمانيا الشرقية)، وعينها على بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا (أمَّا النمسا فهي تسير خلفها منذ زمن، وفي إثرها ترتسم خطى كرواتيا وسلوفينيا). إنَّ معنى هذا الاختيار هو أنَّها لم تعد تملك أيَّة مصلحة قوية للعب بـ (ورقة أُوروبِيَّة)، وهي لن تعلن ذلك بالتأكيد، كما لن تخرج،

مـثلاً، مـن المجموعـة الأُوروبِيَّـة، لكنَّهَـا تسـتخلف بكـلِّ ذلـك، وهـى مستمرة في طريقها؛ بأوربا أو من دونها»[٣٤].

من كلِّ ذلك نرى أنَّ استمرار قيام المصالح الأمرِيكيَّة على حساب البيت الأوربـي أمـرٌ متعـذَّرٌ فـي المسـتقبل القريـب، ولتعـذُّر أو صـعوبة استخدام الضغوط السِّياسَيَّة أَو العسكريَّة المباشرة على هؤلاء الحلفاء فقد كان على الولايات المتَّحِدَة أن تبحث عن حليف اقتصادي قوي تتضافر معه للوقوف أمام المدِّ الأوربي القادم، ولعلَّ أقوى المرشحين لهذا التحالف هو القطب الاقتصادي العالمي الثالث، أَو اليابان، فهل تتوجه الولايات المتَّحِدَة إِلَى التحالف معه؟...

إنَّ التحـالف مـع اليابـان أيسـر وأسـهل مـن التحـالف مـع الوحـدة الأُوروبِيَّة، ولكن المشكلة تكمن في قبول اليابان هذا التَّحالف، لأنَّ دخولها في مثل هذه اللعبة سيفرض عليها أن تقدِّم تنازلات كثيرة للولايات المتَّحِدَة، إذ المرجَّح أن هذه الأخيرة لن تقبل تقديم الكثير من التنازلات، فهل تقبل اليابان عقد صفقة من الأرجح أن تكون الخاسر فيها؟...

وإن كان ذلك مستبعداً إلى حدٍّ ما، إلا أَنَّهُ يظلُّ في حدود الإمكان واحتماله واردٌ، إذ إنَّ الوحدة الأُوروبِيَّة المنتظرة ستعرِّض المصالح اليابانيَّة للخطـر، وإن كانـت البضـائع اليابانيـة ذات مواصـفات تؤهلهـا لمنافسـة البضـائع الأُوروبِيَّـة بجدارة، إلا أنَّها ستضطر إلـى مضـاعفة الجهد كثيراً للمحافظة على مكانتها بعد قيام الوحدة الأُوروبِيَّة، ورُبَّما يُحيجها هذا إلى

---

(٣٤) ـ سمير أمين: **النزعة العسكريَّة الأمرِيكيَّة في النظام الدولي الجديد** ـ ضمن مجلة **الوحدة** ـ العدد ٩٠ ـ آذار/ مارس ـ ١٩٩٢م ـ ص٤١.

سند أو حليف تركن إليه، وإذ ذاك رُبَّما تكونُ الولايات المتَّحِدَة هي أكبر المرشحين لهذا التحالف، بل إنَّ اليابان هي أكبر المرشحين لعقد صفقة مع الولايات المتَّحِدَة لمواجهة مدِّ الوحدة الأُوروبِيَّة المنتظرة[٣٥]. وبذلك فإنَّ الأوراق الرَّابحة ستزداد، نظريًّا، في يد الولايات المتَّحِدَة.

وبالفعل هذا ما حدث في أواسط كانون الثاني/ يناير من هذا العام ١٩٩٢م عندما زار الرئيس الأمريكي **بوش** اليابان وعقد اتفاقاً مع رئيس وزرائها **ميازاوا** لتحمل مسؤوليَّةٍ مشتركة خصوصاً في بناء النظام العالميِّ الجديد، بالإضافة إلى اتفاقٍ لتنسيق التعاون الثنائي الاقتصادي وتنشيط النمو العالمي.

* * *

(٣٥).كتب هذا البحث بصورته الأوليَّة قبل زيارة بوش الأخيرة إلى اليابان.

* * *

الفصل الثالث

الموقف من الدول الشرقية

إنَّ التَّحـرُّك الأمريكـيَّ الـذي يشـمل مختلـف الصُّعد والمستويات، يشير إلى آليَّة صنع القـرار الَّتي تأخذُ بعين النَّظـر كـلَّ الاحتمـالات، ولا عجـب إذ ذاك في أن نَجِـدَ الولايـات المتحـدة تسـير في اتجـاهين متناقضـين في آن واحـد.

صحيح أنه عندما تذكر الدول الشرقية يثب إلى العقل مفهوم الدول الاشتراكية نسبة إلى كونها المعسكري الشرقي مقابل المعسكر الغرب، إلا أننا لا نقصد بالدول الشرقية الدول الاشتراكية وحسب. الدول الاشتراكية باتت بحكم غير الموجودة منسوبة إلى الاشتراكية، وإنما هي دول اشتراكية سابقاً. وهي جزء مما نقصده بالدول الشرقيَّة. ولكننا نضيف إليها مختلف الدول الشرقية الأخرى.

التمرد الياباني

تاريخ العلاقات الأمريكية اليابانية يغصُّ بالكثير من الممارسات الأمريكيَّة غير المشرِّفة لليابانيين، ولذلك فإنَّ مستقبلَ هذه العلاقة لا يدعو أبداً إلَى تفاؤل الأمريكيين أو اطمئنانهم، إذ «اليابانيون يؤرِّخون لبداية العلاقات اليابانية الأمريكيَّة باسم الكومندر **ماثيو بيري** ضابط البحريَّة الأمريكيَّة الذي دخل بأربع سفن حربية ميناء ييدو الياباني في تموز/ يوليو عام ١٨٥٣م، واستقبل بفتورٍ شديدٍ... ولكن الكومندر الأمريكيَّ المتغطرس أعلن تصميمه على أن يسلِّم إلى الإمبراطور الياباني رسالةَ الرئيس الأمريكي **ميلارد غيلور** يطلب فيما إقامة علاقات دبلوماسية مع

الولايات المتحدة، فإذا لم يحضر على ظهر سفينتين مسؤولٌ رفيعُ الشأن لتسلمها وقبولها رسميا، فإنَّني سأنزل إلى البرِّ بقوة عسكريَّة كافية لأسلمها.

وبعد ستة أيَّام متوتِّرة للغاية قبل اليابانيون شروط **بيري**. وبعد ثمانية أشهر وقَّعوا معه معاهدة (كاناجاوا) الَّتي فتحت أكبر ميناءين يابانيين أمام السفن الأمريكية؛ الحربيَّة والتجاريَّة، فيما عدَّه اليابانيون مهانة لا تنسى.

والآن بعد مرور نحو مئة وعشرين عاماً على مهمَّة **بيري** العسكرية ـ الدبلوماسية المختلطة في اليابان فإن كثيراً من اليابانيين يعتقدون أنَّ العلاقات مع الولايات المتحدة تعود إلى النقطة نفسها بعد رحلة طويلة قطعت فيها أشواطاً من الخضوع إلى المقاومة، ومن المقاومة إلى الحرب، ومن الحرب إلى الاحتلال، والدستور الياباني الذي وضعه الأمريكيون لحكم اليابان ولا يزال هو دستورهم منذ نهاية الحرب العالمية حَتَّى الآن.

إنَّ مهمَّة **بوش** في اليابان مع بداية عام ١٩٩٢م هي في نظر كثير من اليابانيين أقرب ما تكون إِلَى مهمة الكوماندر **بيري** عام ١٨٥٣م؛ «أليس **بوش** قادماً إلى طوكيو لإجبار اليابان على فتح أسواقها للسلع الأمريكية، سواء أأعجبتهم أم لم تعجبهم، سواء كانت تفي بالمستوى الذي يطلبونه أم لا؟!»[٣٦].

---

(٣٦) . سمير كرم: **الحرب الباردة الثانية؛ أمريكا ضد اليابان** . ضمن مجلة **الكفاح ا لعربي** . بيروت . العدد ٧٠١ . ٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢م . ص ٢١-٢٢.

ولـذلك لـيس بالمسـتغرب ولا بالجديـد أن نعلـم أنَّ اليابـانيين كـانوا يـدركون تمـام الإدراك أنَّ الـرئيس الأمريكـي قـادمٌ إلـى طوكيـو وكـلُّ نوايـاه متجهـةٌ إلـى الضـغط علـى اليابـان مـن أجـل أن تَحْمِـلَ بعـض العـبء عـن دولتـه، حَتَّـى انطلقـت بعـض التعليقـات السَّـاخرة فـي الشـارع اليابـاني والصـحافة اليابانيَّـة، وهـذه هـي صـحيفة **أسـاهي** اليابانيَّـة الشـهيرة وذات النفـوذ القـوي فـي الشـارع اليابـاني تقـول: «يبـدو أن **بـــوش** يشـــنُّ دبلوماســـيَّة الـــزَّوارق المســـلَّحة فـــي المجـــالات الاقتصـادية... وقالـت فـي الوقـت نفسـه: مـا عليـه هـو أن يطلـب مـن شـركات السـيَّارات الأمريكيَّـة أن تـتعلَّم مـن الشَّـركات الأوربيَّـة الَّتـي نَجَحَتْ في بيع سيَّاراتها في اليابان»[٣٧].

وقد أعرب اليابانيون كذلك؛ زعماء ومواطنين، طوال الأسابيع الَّتي سبقت الزِّيارة عن غضبهم من قرار الرئيس **بوش** بأن يصطحب معه إلى بلادهم وفداً من كبار رجال صناعة السيَّارات، الذين هم ألدُّ أعداء اليابانيين بين الأمريكيين على الإطلاق، وهم يعرفون أَنَّهُ قادمٌ لهدفٍ واحدٍ هو الضَّغط على اليابان لفتح أسواقها أمام السلع الأمريكيَّة بلا حدود... ولا قيود»[٣٨].

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد وحسب، إذ أنَّ موجة كراهيَّة واحتقار شديدين تجتاح الشَّعب الياباني منذ فترة تجاه الأمريكيين، فلقد آلم نفوسهم أن تكونَ اليابان وهي الأقوى اقتصاديًّا والأقدر، تابعاً للولايات المتحدة، لا

---

(٣٧) . م. س . ص٢١.

(٣٨) . م .س . ص٢٢.

حول لهم ولا قوة أمام إرادتها، على رغم ترهلها الاقتصادي وعجزها بالمقارنة مع اليابان. وهذه صحيفة أمريكيَّة تصف هذه الموجة قائلة، بعدما أوردت بعض الأقوال الَّتي تُردَّد في الشَّارع الياباني: «هذه ليست سوى عيِّنَةٍ لما تردِّدُه جماعاتٌ كاملةٌ من المثقَّفين وذوي النفوذ في اليابان، وبالأخص رجال الأعمال الذين يرون أنَّ أمريكا قد اجتاحها طاعون الجريمة والفقر والتمزُّق العائلي وأُمِّيَّة الصِّغار... ويعدُّونها دولةً متعطِّشةً للسيطرة، تستطيع أن تدمِّرَ العراق ولكِنَّها لا تستطيع أن توازن ميزانيَّتها... صناعتها غير قادرةٍ على المنافسة، ومديروها ليسوا سوى حفنةٍ من الأطفال الذين لا يجيدون إلا الصُّراخ»[٣٩].

وَثَمَّة آراءٌ واستطلاعاتٌ كثيرةٌ تميل كلُّها إلى أنَّ اليابان وإن كانت فيما مضى طفلاً فقد كبرت؛ «إنَّ الصَّغير (اليابان) قد كبر بينما الأب (أمريكا) يزدادُ شيخوخة، وكما يحدثُ غالباً للأبناء فإنَّهُم يتمرَّدون»[٤٠]، ولذلك كان «على اليابان أن تلغي معاهدة الأمن بينها وبين الولايات المتحدة وأن تتخلَّص من القواعد العسكرية الأمريكيَّة»[٤١].

والحقيقة أنَّ دلائل التحفُّز الياباني على التَّمرد على الإرادة والهيمنة الأمريكيَّة جدٌّ كثيرة يضيق المجالُ عن سردها، فهي ذات جذور تاريخيَّة بعيدة كما أشرنا، ولَعَلَّ أبرز الآثار الَّتي حفزت روح التمرد هذه هي

---

(٣٩) . م . س . ذاته.

(٤٠) . هذا قول الأستاذ الجامعي الياباني سايزابورو ساتوم . م. س . ذاته.

(٤١) . هذا قول الصحافي الياباني تسومورة كوباياشي . م. س . ذاته.

الكتاب الذي صَدَرَ في اليابان منذ سنتين[٤٢]، وعنوانه **اليابان تستطيع أن تقول لا.**

ومن أبرز ما جاء في مقدِّمة هذا الكتاب عرضٌ لعوامل القوة اليابانية ومقوِّماتها، وفي مقابلها الضعف الأمريكي. ويستطرد مؤلفا الكتاب **سينشارو إشهارا وإكيو موريتا** قائلين: «إن الأمريكيين على الرُّغم من ذلك يضغطون، ويضعون الخطط لإضعاف الاقتصاد الياباني، ويفرضون على منافستهم اليابان عدداً من الاتفاقيات الظَّالمة ويتصرَّفونَ بعنصريَّةٍ تجاهَ اليابانيين... ثُمَّ يعقِّبُ المؤلِّفان بعد ذلك قائلين: إنَّ اليابان تستطيع أن تقول لا. ويشنَّان ن حملةً شديدة على حكَّام اليابان الذين ارتضوا أن تكونَ بلادهم قزماً سياسيًّا، ويطالبان بألاَّ يشعر هؤلاء الحكَّام بالدُّونية... ويتساءلان عن الأسباب الَّتي تدفع برؤساء الوزارات اليابانيَّة المتعاقبة للانحناء أمام طَلَبَاتِ واشنطن كلَّ مرَّة، حَتَّى في تطوير أسلحةٍ تحتاجها طوكيو في مجال حيويٍّ، ويدعون لرفض الضغوط الأمريكيَّة عند اللزوم رفضاً قاطعاً»[٤٣].

ويشرئب اليابانيون من وراء ذلك إلى مجموعة من الطُّموحات والتَّطلُّعات، يلخِّصُها لنا المؤلِّفان «فتبرز في الدَّرجةِ الأولى مسألة ضرورة وقف الاعتماد العسكريِّ الياباني على الأمريكيين، وزيادة دور اليابان في العالم الجديد، إذ الأولويَّة للاقتصاد، والمرور في فترة تحالف مؤقَّتة على

---

(٤٢) . صدر الكتاب عام ١٩٩٠م.

(٤٣) . غسان كنج: **هل تستطيع اليابان أن تقول لا؟** . ضمن مجلة **الكفاح العربي** . بيروت . العدد ٧٠٥ . ٣ شباط/ فبرا ير . ١٩٩٢م . ص٣١.

شَرْطَ التَّنَبُّهِ للمحافظة دائماً على مصالح طوكيو والمشاركة في هندسة النِّظام العالميِّ الجديد، ثُمَّ مراقبه ابتعاد أوربا بقيادة ألمانيا عن الولايات المتحدة، ومنع أي تحالف بين أوربا والاتحاد السوفيتي (سابقاً) الذي يفترض فيه أن يشكِّلَ جزءاً من منطقة التَّعاون والنفوذ لليابان بالإضافة إلى أقسام واسعة من آسيا»(٤٤).

اليابان تغزو أمريكا(٤٥)

لا شكَّ في أنَّ اليابانيين محقِّون في تطلُّعهم إِلَى الانفلات من قيود الهيمنة الأمريكية، والتَّمرُّد عليها، فهم يدركون حقيقة قوَّة بلادهم ومكانتها العالميَّة وشدة نفوذها في أهم بقاع العالم، حَتَّى في قلب الولايات المتحدة الأمريكيَّة ذاتها، حَتَّى إنَّ الأمريكيين أنفسهم يدركون هذه الحقيقة، ويدركون معها مدى التَّحكُّم الياباني بالاقتصاد الأمريكي، وهذا «السناتور **لويد بنتسين** رئيس اللجنة الماليَّة في مجلس الشيوخ الأمريكي يفتتح جلسة للجنته وأقرَّ أن يفتتحها بنكتة، فقال: إنَّهُ كان يبلغ زوجته أَنَّهُ على وشك الاجتماع بمجموعة من أهمِّ القيادات السياسيَّة والاقتصاديَّة الَّتي تمسك بمستقبل أمريكا بين يديها، فقالت له فوراً: أوه... إذن فأنت ذاهب إلى طوكيو؟».

«وعندما يأتي ذكر اليابان الآن في أيٍّ من المحافل الأمريكيَّة يظهر على الفور تعبير اللوبي الياباني، والآن أصبح اللوبي الإسرائيلي يشير إلى

---

(٤٤) . م. س . ذاته.

(٤٥) . استقينا معظم هذه الفقرة من مقالة سمير كرم سالفة الذكر، وللأمانة فقد وضعنا الاقتباسات بين قوسي اقتباس.

قزم بالمقارنة مع اللوبي الياباني، فإذا كان اللوبي الإسرائيلي. يمثِّلُ مصالح دولةٍ تعيش على المساعدات الأمريكيَّة فإنَّ اللوبي الياباني، يمثِّلُ مصالح عملاقٍ يشتري الولايات المتحدة قطعة بعد قطعة، ومؤسَّسة بعد أُخْرَى».

وتنجلي هذه الحقيقة على نحوٍ أوضح من خلال الحقائق والأرقام التَّالية: «تملك اليابان ما قيمته ٢٨٥ مليار دولار من الأصول الاقتصاديَّة المباشرة (أي الممتلكات والعقارات) في الولايات المتحدة، وهذا الرَّقم يزيد عن الميزانيَّة السَّنويَّة الهائلة للبنتاجون. وتسيطر اليابان على ما قيمته أكثر من ٣٢٩ مليار دولار من الأصول (البنكيَّة) في الولايات المتحدة... وتبيع اليابان وتشتري يوميًّا نسبة ٢٥ بالمئة من أسهم سوق الأوراق الماليَّة الأمريكيَّة في نيويورك، وتنتج أكثر من ٣٠ بالمئة من السَّيَّارات الَّتي يملكها الأمريكيون. وأكثر من نصف الآلات الصناعيَّة الَّتي تشتريها الولايات المتحدة من الخارج، والغالبيَّة السَّاحقة من ا لأجهزة الإلكترونية وعشرات من المنتجات الأُخْرى.

وبحلول عام ١٩٩٥م ستكون اليابان قَدْ أصبحت أكبر مستثمرٍ أجنبي في أمريكا، وبحلول عام ١٩٩٩م سيكون المستثمرون اليابانيون قد أحكموا قبضتهم على استثمارات أمريكيَّة تفوق ما بيد بريطانيا وهولندا وكندا . أكبر المستثمرين في أمريكا الآن ــ مجتمعين». وهذا مما أتاح لليابان نفوذاً واسعاً في قلب الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ومكَّنها من لعب دورٍ حاسم في تشكيل الرأي العام الأمريكي وصياغته على حدِّ قول الدكتور **باست شوات**

في كتابه (وسطاء النفوذ: كيف يتلاعب اللوبي الياباني في الولايات المتحدة بالنظام السياسي والاقتصادي؟)، فيقول: «إنَّ اليابان وحدها من بين كلِّ الأمم تفهم على أكمل وجه أنَّ السُّلطة السياسيَّة في أمريكا سلعة يمكن الحصول عليها لمن يدفع أكبر ثمن».

ويقول في موضع آخر: «اليابان تدير حملة سياسيَّة مستمرَّة في أمريكا كما لو كانت حزباً ثالثاً، إنها تنفق ١٠٠ مليون دولار على الأقلِّ كلَّ سنةٍ لاستئجار مئاتٍ من عملاء اللوبي في العاصمة واشنطن من أبرز المحامين وكبار المسؤولين السَّابقين، وخبراء العلاقات العامة والمستشارين السياسيين، وحَتَّى رؤساء الجمهوريَّة السَّابقين... إنَّها تنفقُ ٣٠٠ مليون دولار سنويًّا لتشكيلِ الرَّأي العام الأمريكي من خلال شبكة سياسيَّةٍ محليَّة على نطاق الأمة».

والحقُّ أنَّ اليابانيين الذين يمارسون ذلك لا يعملون على إخفائه أو التستر عليه فقد قالت مجلَّة **جابان إيكونوميك جورنال** اليابانيَّة بالحرف الواحد: «النُّفوذ في واشنطن مثله تماماً في إندونيسيا، إنَّهُ للبيع».

وعلى الرُّغم من كلِّ ذلك، على أهمِّيَّته وخطورته، نَجِدُ رئيسَ الوزراء الياباني **ميازاوا** يقول: «لا بدَّ من أن تتنازل اليابان» وإن كان قد عَقَّبَ على ذلك بأنَّ هذا التَّنازل سيكونُ إراديًّا وحيث ينبغي. إلاَّ أنَّ الرئيس الأمريكي **جورج بوش** قد عاد إلَى بلاده ليبشِّر مواطنيه «بنجاحِ مهمَّتهِ في تأمين وظائف لهم، وفتح أسواق جديدة أمام البضائع الأمريكيَّة، وإنعاش

الاقتصاد، مع ما ينعكس نتيجة لذلك من إلغاء مظاهر الرُّكود الاجتماعي الداخلي...»[٤٦]. ولتعلِّق جريدة **النيوزويك** الأمريكيَّة على هذه الاتفاقيَّة «بأنَّها إمَّا أن تتحوَّل إلَى قاطرة تجرُّ القطار العالمي، أو تكون بمنزلة حرب اقتصاديَّة على القِوى الصِّناعيَّة الكبرى الأُخْرى»[٤٧]. ولتكتسب الولايات المتَّحدة بذلك ورقة جديدةً تضمُّها إلَى بقيَّة الأوراق الَّتي تستعين بها على تعزيز هيمنتها ونفوذها، ورفدها بعناصر جديدة تعينها على التَّماسك أكثر...

وللدول المستقلة شأنها

يتعاملُ أربابُ السِّياسة وصانعي القرار الأمريكيين اليوم مع الاتحاد السوفيتي المهزوم المتفكِّك كما تعاملوا فيما مضى مع ألمانيا النازيَّة إثر انهزمهما في الحرب العالميَّة الثَّانية أمام الحلفاء، لا فرق عندهم بين النَّازية والشيوعيَّة، فكلاهما (بعبع) خطير يشرئب إلى التهام العالم. وكما «كان المخططون وصانعوا القرار الأمريكيون مختلفين في زمن نهاية الحرب العالمية الثانية في الكيفيَّة الَّتي ينبغي التعامل بها مع ألمانيا المهزومة، وفي الطريقة الأفضل لتحقيق أقصى الفائدة للسيطرة الأمريكيَّة على أوربا بوصفها النتيجة اللازمة عن الهزيمة الألمانيَّة... فإنَّهُم مختلفون الآن حول كيفيَّة التَّعامل مع الاتحاد السُّوفيتي المهزوم....

---

(٤٦) . غسان كنج: م . س . ذاته.

(٤٧) . م . س . ذاته.

والطريقة الأفضل والأضمن لتحقيق سيطرةٍ أمريكيَّةٍ على أوربا، بما فيها الاتحاد السوفيتي»[٤٨].

والمشكلة الَّتي اعترضت السِّياسة الأمريكيَّة هنا هي أنَّ هذا التفكُّك للاتحاد السوفيتي الذي بذلت الولايات المتحدة من أجله الكثيرَ الكثير، قد ينقلب إلَى عقبة أمام الهيمنة الأمريكيَّة، ذلك أنَّ كثيراً من هذه الدُّول المستقلة ذات صبغة إسلاميَّة من جهة أولى، وتمتلك أسلحة نوويَّة من جهة ثانية، وتتطلع إيران إلى احتوائها سياسيًّا ودينيًّا من جهة ثالثة، كما أنَّها بذرة تجمُّع اقتصاديٍّ كبيرٍ من جهة رابعة... وذلك كلُّه لا يتَّفق مع توجُّهات الولايات المتحدة وتطلعاتها ومصالحها، ولذلك فقد تحرَّكت، وما زالت تتحرَّك على جميع الأصعدة والمستويات الممكنة لاحتواء هذه الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي؛ بدءاً من التودُّد والترغيب وانتهاءً بالوعيد والترهيب والتهديد.

١ . نزع السِّلاح

إنَّ ما يثير قلق الولايات المتحدة ا لأمريكيَّة هو امتلاك بعض هذه الجمهوريات المستقلَّة أسلحة من صنوف مختلفة، وأشد ما يؤرقها على نحوٍ جدٍّ خاصٍّ هو الأسلحة النَّوويَّة الموجودة في كازخستان، فهي الوحيدة من بين الجمهوريات المسلمة المستقلة الَّتي تمتلك هذا الصنف من الأسلحة، وأصل الخوف والقلق الأمريكي من هذا العنصر النووي هو أَنَّهُ من الممكن «أن يتسرَّبَ عبر الجمهوريَّات الإسلاميَّة في آسيا الوسطى

(٤٨) . سمير كرم: **القلق الأمريكي ا لأكبر؛ الأسلحة النووية في الجمهوريات المسلمة** . ضمن مجلة **الكفاح العربي** . بيروت . العدد ٦٨٢ . تاريخ ٩ أيلول/ سبتمبر ١٩٩١م . ص٢١.

إلى دول الشَّرق الأوسط العربيَّة وغير العربية. وهى بالدرجة الأساسيَّة خشيةً على إسرائيل الَّتي تنفرد في المنطقة بامتلاك السِّلاح الاستراتيجي غير التقليدي»(٤٩).

ولذلك انصبَّت الجهود الأمريكيَّةُ المكثَّفةُ على نزع السِّلاح من هذه الجمهوريَّات ووضعه تحت رقابتها، «وتؤيِّد غالبيَّة إدارة الرئيس **بوش** فكرة تجميع الأسلحة الاستراتيجيَّة السُّوفيتية في جمهوريَّات مختلفة بحيث تصبح كلُّها، قدر الإمكان، في جمهوريَّة روسيا الاتحاديَّة. أي تحت سيطرة الرَّئيس الرُّوسي **بوريس يلتسين** وأنصاره الذين يتمتَّعون الآن بثقةٍ كبيرةٍ في واشنطن»(٥٠)،وإذا ما وصلت هذه الأسلحة إلى روسيا الوريثِ الطَّبيعيِّ للترسانة النَّوويَّة السوفيتيَّة، كما تقول أمريكا، فإنَّ الإشكال سيغدو بسيطاً، إذ «يسهل هنا التفاوض على تفكيكها أَو نقلها، ويسهل تنفيذ أيِّ خطَّة للتخلُّص منها»(٥١).

ويبدو حاليًّا أنَّ الولايات المتحدة قد نجحت في مساعيها إلى الحدِّ الذي فرض عليها الصمت بعد ضجَّةٍ إعلاميَّةٍ كبيرةٍ وسيلٍ متدفِّقٍ من التَّهديدات والتحذيرات والمفاوضات المباشرة مع قادة هذه الدُّول، وإن كانت إلى جانب ذلك مستعدَّةً للتَّدخُّلِ المباشر، على نحوٍ أو آخر، لتحقيق هذا المأرب، «وليس من الضَّروري أن يتَّخِذَ التَّدخُّل شكل إرسال الجيوش للغزو كما حدث . في المنطقة ذاتها ـ قبل سبعين عاما، فالظُّروف، مهما

(٤٩) . غسان كنج: **تعاون أمريكي تركي لإحباط قيام الهلال الإسلامي النووي** ـ ضمن مجلة **الكفاح العربي** ـ بيروت . ا لعدد ٧٢٠ . تاريخ ١٨ أيَّار/ مايو ١٩٩٢م . ص٢٨.

(٥٠) . سمير كرم: **القلق الأمريكي**... . ص ٢١.

(٥١) . م. س . ص ٢٢.

كانت فيها علامات التشابه، مختلفة. وليس هناك من يتحدَّى رغبة الولايات المتحدة في أن تلعب الدَّور ا لأكبر، وبالأحرى ا لأوحد، في تشكيل الوضع في الجمهوريات السوفيتيَّة وفقاً لما ترى»[٥٢].

٢ ـ الاحتواء السياسي والاقتصادي

إنَّ التَّحرُّك الأمريكيَّ الذي يشمل مختلف الصُّعد والمستويات، يشير إلى آليَّة صنع القرار الَّتي تأخذُ بعين النَّظر كلَّ الاحتمالات، ولا عجب إذ ذاك في أن نَجِدَ الولايات المتحدة تسير في اتجاهين متناقضين في آن واحد. ومن ذلك مسارعتها إلَى إقامة العلاقات الدبلوماسية وتوطيدها مع الجمهوريات الآسيويَّة المستقلَّة عن الاتحاد السُّوفيتي، في الوقت الذي كانت تُهَدَّدُ فيه هذه الجمهوريات بالوعيد إذا لم تنزع سلاحها النووي.

«وقد بدا أنَّ ما دَفَعَ واشنطن إلى الالتفات إلى الجمهوريَّات الإسلاميَّة في آسيا الوسطى لدرجة إثارتها هذا الموضوع بوصفه مسألةً رئيسيَّةً في أثناء زيارة رئيس الوزراء التركي **سليمان ديميريل** إلَى واشنطن في أواخر شباط/ فبراير الماضي ١٩٩٢م، هو رغبة الإدارة الأمريكيَّة في صدِّ امتداد النفوذ الإيراني إلى آسيا الوسطى، بِهَدَفِ احتواء (المدِّ الأصولي) الذي يطرحُ مفاهيم مناقضةً لتلك الَّتي تطرحها واشنطن بشأن (النظام العالميِّ الجديد) أَو بالأحرى لمنع تكامل (الهلال الإسلامي) الذي يمكن أن يبدأ من أطراف الصين مروراً بهذه الجمهوريات، ممتدًّا عبر

(٥٢) . م. س . ص ٢٣.

منطقة الشرق الأوسط، فإلى أقصى أطرافها في المغرب العربي الذي يشهد تحرُّكاً عنيفاً للتَّيَّارات الإسلاميَّة في المرحلة الراهنة»(٥٣).

أمَّا الجانب الثَّاني للتَّخوُّف ا لأمريكي فيتجلَّى في البعد الاقتصادي لهذه الدُّول ودول أُخْرَى، حيث التَّوجه إلى تشكيل تجمُّعٍ اقتصاديٍّ ذي صبغةٍ دينيَّةٍ، وهذا جزءٌ من المساعي الإيرانيَّة الهادفة إلى إقامة سوق إسلاميَّة مشتركة قريبة، وكذلك كانت، فيما يرى المحللون، جزءاً من تطلعات الرَّئيس الباكستاني **غلام إسحاق خان** الذي أثار مسألة تشكيل كتلةٍ اقتصاديَّة إسلاميَّة تضمُّ أفغانستان وباكستان والجمهوريات الإسلاميَّة.

ولتبديد المساعي الإبرانيَّة في إقامة هذه السُّوق الإسلاميَّة المشتركة الَّتي وصفتها صحيفة **طهران تايمز** بأَنَّها فرصةٌ نادرةٌ ينبغي على قادة الدُّول ا لآسيويَّة الإسلاميَّة عدم تفويتها بإظهارهم الوعي السياسيَّ المميَّز، «طَرَحَ رئيس الوزراء التركي **سليمان ديميريل** في محادثاته الأخيرة في واشنطن مع الرئيس **بوش** إمكانيَّة أن تلعب تركيا دوراً أكبر لدى دول آسيا الوسطى الجديدة القائمة على أنقاض الاتحاد السوفيتي السَّابق لأنَّ ذلك في مصلحة الولايات المتحدة. ويعلِّقُ الرَّئيس **بوش** على ذلك قائلاً:

إنَّنا متَّفقون مع تركيا في الرأي، ونعدُّها لاعباً رئيسيًّا مهمًّا في ذلك الجزء من العالم»(٥٤).

---

(٥٣) . غسان كنج: **تعاون أمريكي تركي** .... ص ٢٨.

(٥٤) . م. س . ص ٢٩.

وينصبُّ الجهد التركي على هذا الصَّعيد في صرف الأنظار عن التَّجمُّع الاقتصادي ذي الصبغة الدينيَّة وتحويله إلَى تجمُّعٍ ذي صبغةٍ سياسيَّة، فهو يضمُّ حسب توجُّهِها دولاً أخرى غبي إسلاميَّة هي دول البحر الأسود، والتَّوجُّه العام لهذه الكتلة غربيٌّ مرتبطٌ بالولايات المتحدة الأمريكيَّة خصوصاً، تلعب تركيا فيها دور الجسر الواصل بينها وبين واشنطن.

* * *

الفصل الرابع

الموقف من البلدان النامية والمتخلفة

إنَّ الولايـات المتحـدة بوصـفها الأقـوى عسـكريًّا وسياسيًّا، وبحكم هيمنتها على العـدد الأكـبر مـن دول العـالم ذات المواقـع الاسـتراتيجيَّة المهمَّـة، وصاحبة الثَّروات المختلفة... لـن تسـمح بـانفلات الأمور مـن يـدها، لتصـبحَ مـن غـير مـا ضـابطٍ ولا رادعٍ.

قَدْ كان يعزُّ على أنصار الماركسيَّة من أبناء هذه البلدان أن توسم بلادهم بالتَّخلُّف أَو يُتَعَامَلُ معها على أنَّها رقمٌ بين الأرقام، فيقال العالم الثالث، وحَتَّى تسمية البلدان النَّامية لم تكن لتملأ أعينهم، فابتدعوا تسميةً جديدة هي: (الدُّول ذات الأنماط الإنتاجيَّة المتعدِّدة).

الحقُّ أَنَّهُ لو كانت المشكلة في التَّسمية لكانت مشكلةً سهلةً يسيرةً. ذلك أنَّ هذه التَّسميات كلها ذات دلالات واقعيَّة لا تخرج عن إطار هذه الدول، فهي متخلِّفة لا يمكن البتة وصفها بالمتقدِّمة، وإذا ما قُوْرِنَ تخلُّفها بالدول المتقدِّمة، بالقياس إلى ما يمتلك معظمها من إمكانات وثروات، لما استحقَّت إلا أنْ تُعامل بوصفها رقماً؛ العالم الثالث. ولكنَّ الإنصاف يدعونا إلى تبيان أنَّ بعضها يحاول النهوض والنمو، لولا أنَّ هذا النَّماء يلاقي دائماً المزيدَ من العقبات والعثرات. وأخيراً فهي دول ذات أنماط استهلاكيَّة متعدِّدَةٍ لا أنماط إنتاجيَّة، إلا ما ندر.

وفي ظلِّ هذه الوضعيَّة القائمة في هذه البلدان، ترتع الولايات المتحدة الأمريكيَّةُ خصوصاً، والدُّول الرأسماليَّة عموماً. فما الموقف الذي ستَّتخذُه الولايات المتحدة من هذه الدُّول إزاء هذا الوضع الجديد الذي أفرزته الأحداث والتَّطوُّرات الأخيرة؛ المتعدِّدة والمتباينة؟

في حقيقة الأمر: إنَّ السِّياسة الأمريكيَّة تجاه بلدان العالم الثَّالث لن تتغيَّر بعد التَّطوُّرات الأخيرة عمَّا كانت عليه فيما قبلها، لأن التَّحديات الَّتي تواجه الولايات المتحدة مازالت قائمةً، وإن اختلفت طبيعتها، ففيما مضى كانت الشيوعيَّة هي الجبهة المقابلة، أمَّا الآن فإن التَّحدِّي نابعٌ من قلب المنظومة الرأسماليَّة ذاتها، وإن كان فيما مضى ثَمَّةَ اقتسامٌ للعالم بين المنظومتين الاشتراكيَّة والرأسماليَّة على نحو أو آخر، فإن العالم مقتسمٌ الآن فيما بين أقطاب المنظومة الرأسماليَّة ذاتها، والأقوى هو الغانم الأكبر، والمستأثر بالنَّصيب ا لأوفر... ومازالت الولايات المتحدة هي الَّتي تحتاز هذا المكان، وتتربع على عرشه، يشهد بذلك نفوذها الواسع الذي مازال يؤهلها لفرض إرادتها.

وهذا هو الرَّئيس ا لأمريكي **جورج بوش** يقول في مثل ذلك: «إنَّ النِّظام العالمي الذي أردنا أن نكرِّسه عام ١٩٤٥م(٥٥)، الذي عملت من أجله أمريكا ومبادئها واتجاهاتها في الأمم المتحدة، وما استطاعت تحقيقه حين قامت الحرب الباردة، الآن أصبحت قادرةً على تكريس هذا النِّظام بعد أن انتصرت انتصاراً عالميًّا... إن مبادئها هي الَّتي انتصرت، واتجاهها في العالم هو الذي انتصر، وإنَّها تريد أن تحلَّ مشكلات العالم من خلال تفعيل هذه المؤسَّسة

(٥٥) . يعني بذلك إثر خروج الولايات المتحدة منتصرة في الحرب العالميَّة الثانية، ويمكن تلمس الفكرة الَّتي يريدها جورج بوش من هذه النقطة تحديداً من خلال فرض الولايات المتحدة الأمريكيَّة على اليابان وألمانيا دساتير تجعل من الولايات المتحدة هي الحاكم في هذين البلدين لا أهل البلدين ولا حكامهما، ومن المعلوم على سبيل المثال في هذا الإطار أن اليابانيون أرادوا أن يقرؤوا الدستور الجديد ليناقشوه فقال الأمريكيون لهم: أنت هنا لتوقعوا لا لتناقشوا... أنتم مهزومون، وليس من حقِّ المهزوم أن يناقش.

الدوليَّة بصيغةٍ جديدة»[٥٦]، أي تفعيل سيطرة الولايات المتحدة الأمريكيَّة وسيادتها.

قَدْ يظنُّ ظانٌّ أنَّ هذا الكلام لا يتوافق مع منطق عصرنا الرَّاهن الذي ترسَّخَتْ فيه دعائم الديمقراطيَّة، والحريَّات بمختلف معانيهما في كثير من بلدان العالم، ولاسِيَّما الولايات المتحدة ذاتها الَّتي تدَّعي أنَّها المكافحة المنافحة عن الحريَّة والديمقراطيَّة وحقوق الإنسان، ووجود هيئةٍ دوليَّة عُليا، هي هيئة الأمم المتحدة الَّتي تقرُّ حقوق الإنسان، وحقَّ الشُّعوب في تقرير مصيرها، وعدم التَّدخُّل في شؤون أيِّ أمَّة... وإلى ما هنالك من حقوق ومبادئ تأخذ الألباب بسحرها.

على رغم حسن هذا الظَّنِّ واستناده إلَى مبادئَ نظريَّةٍ سليمةٍ تماماً، إلاَّ أنَّهُ ليس في مكانه، لأنَّ البشريَّة حَتَّى الآن ليس في واقعها الفعلي شرعة عادلة، ولا قوانين منصفة، اللهم إلاَّ بين أسطر الكتب المنضودة على الرُّفوف الرخاميَّة أَو المرمريَّة أَو العاجيَّة، ورُبَّما المرميَّة بين أكوام (الزبالة)... فما يقرِّه الأقوى هو الحق والقانون، هو الشَّرع والعدل والحكمة، وهذا الكلام ليس بحاجة إلى دليل لأن التَّاريخ، والواقع المعاصر متخمان بالأدلَّة الجليَّة، ويغصَّان بالوقائع المؤكِّدة لذلك.

وعلى ضوء ذلك كانت سياسةُ الولايات المتحدة في بلدان العالم الثَّالث خصوصاً. وعليه ستستمرُّ، مع الأخذ بعين النَّظر أنَّ هذه السِّياسة

---

(٥٦) . المختار مطيع: **محاولة في تفسير النظام الدولي الجديد** . ضمن مجلة **الوحدة** . الرباط/ باريس . العدد ٩٠ . آذار/ مارس ١٩٩٢م . ص ١٩.

الأمريكيَّة لن تكون متفرِّدة تماماً، لأنَّهُ سيكون ثَمَّةَ تنافسٌ، ورُبَّما تناحرٌ مع الدول الرأسماليَّة الأُخْرى، لأنَّ الغرب عموماً لا ينظر إِلَى بلدان العالم الثالث نظرةً فيها الاحترام أَو الودُّ أَو المساواة في ا لإنسانيَّة. وعندما ينهبون ثروات الشُّعوب وخيراتها فإنَّهُم يرون في ذلك حقًّا لهم، ومشروعيَّةً لا ينازعون عليها؛ فلهم في نِفْطِنا حقٌّ طبيعيٌّ لا مكتسب، ولهم في حديدنا وفوسفاتنا... ومختلف خيراتنا وثرواتنا حقٌّ طبيعيٌّ أيضاً، ويرونَ أنَّ هذا الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليه!!

إنَّ الولايات المتحدة بوصفها الأقوى عسكريًّا وسياسيًّا، وبحكم هيمنتها على العدد الأكبر من دول العالم ذات المواقع الاستراتيجيَّة المهمَّة، وصاحبة الثَّروات المختلفة... لن تسمح بانفلات الأمور من يدها، لتصبحَ من غير ما ضابطٍ ولا رادعٍ، أَو على أيِّ نحوٍ يهدِّدُ مصالحها أَو يمكِّنُ خصومها منها، ولذلك فقد فرضت ذاتها ومنذ سنوات شرطيًّا يسهر على الأمن والسِّلم العالميين بالمعنى المشار إليه سابقاً؛ تتدخَّلُ متى تشاء وكيفما تشاء.

أما فيما يتعلق بسياستها تجاه بلدان العالم الثالث، الَّتي كانت فيما مضى، والمتوقَّع استمرارها، مع ازديادٍ في حساسيَّة الموقف، الأمر الذي سيفرض على هذه السياسة حساسيةً شديدةً قَدْ تبدو بمزيدٍ من الحذر، وقد تبدو بتهور لا مسوِّغ له. وإن كان هذا الاحتمال مستبعدا فهو محتملٌ... فتبدو أمامنا النِّقاط التَّالية:

أوَّلاً: إنَّ أكثر ما يهمُّ الولايات المتحدة الآن، وأكثر من أي وقت مضى هو إحكام سيطرتها على البلدان الغنيَّة بالموارد

والثـروات الطَّبيعيَّـة، ولاسِـيَّما مصـادر الطَّاقـة، وذلـك لسـببين مهمَّـين، أوَّلهمـا تـأمين المـواد الخـام والأوليـة لِقِطَاعَاتِهَـا الإنتاجيَّـة المختلفـة بـأرخص الأسـعار الممكنـة، أكثـر مـن أيِّ دولـة أُخْـرَى، لتـتمكَّن مـن منافسـة الـدُّول الصـناعية الأُخْـرى فـي تخفـيض تكـاليف الإنتـاج ونفقاتـه، الأمـر الـذي يمكِّنُهـا مـن تخفـيض أسـعار منتجاتهـا أكثـر مـن غيرها، لتجدَ طريقها إِلَى الاستهلاك أكثر من منافساتها.

وأمَّا السَّبب الثَّاني: فلكي تتحكَّمَ بالدُّول المنافسة عن طريق هيمنتها على أكثر مصادر الطاقة والمواد الأولية أهميَّةً، وفي هذا السياق يقول **سمير أمين:** «أظنُّ أنَّ القرار القاضي بشنِّ الحرب في الخليج قَدْ تَمَّ اتِّخاذه بكيفيَّةٍ متعمدةٍ من طرف واشنطن، بوصفه إحدى الوسائل الكفيلة في حال استعمالها، بالحيلولة دون قيام (الكتلة الأوربيَّة)، أي بإضعاف أوربا (عن طريق مراقبة النفط الذي توصله الولايات المتحدة وحدها، من الآن فصاعداً)»(٥٧). وبهذا المعنى ذاته قال دبلوماسي ألماني، آثر ألاَّ يذكر اسمه:

«إنَّ العودة الأمريكيَّة المفاجئة إِلَى نغمة الهجوم على ليبيا الَّتي اشتُهِرَتْ بها إدارة **ريجان** السَّابقة، وجعلها تتَّخذ موقفاً مركزيًّا في السياسة الأمريكيَّة، إنَّما تنبع من الحتميَّات نفسها الَّتي أدَّت إِلَى حرب الخليج، إذ كانَ الجزء الرئيسيُّ لها هو المحاولة الأمريكيَّة لضمان سيطرة الولايات المتحدة على قدرة اليابان وأوربا الغربيَّة، خصوصاً ألمانيا، على الحصول على احتياجاتها من إمدادات النفط... إنَّ هذه السَّيطرة تكفل لواشنطن

(٥٧) . سمير أمين: **النزعة العسكرية الأمريكية في النظام الدولي الجديد** . ص٤١ .

ورقةَ مساومةٍ قويَّةٍ في مفاوضاتها مع أوربا واليابان بِهَدَفِ إعادة تحديد شكل العلاقات الاقتصاديَّة مع أمريكا في وقتٍ ترتفع فيه حدَّة المنافسة في هذه العلاقات على نحو لم يسبق لها مثيل منذ زمن ما قبل الحرب العالمية الثانية»[٥٨].

ولذلك: فإنَّ الولايات المتحدة ستنظرُ بعينِ الرَّأفة والعطف إِلَى هذه البلدان وتُظِلُّها بوارف ظلالها، حرصاً عليها من كلِّ كرب وضيم؛ ساهرةً على راحتها وحماية أمنهما وسلامها.

ثانياً: وتحتاج الولايات المتحدة لحفظ مصالحها في هذه البلدان وغيرها، ولتتحكَّم أكثر بالدول المنافسة، إِلَى بسط هيمنتها على البلدان ذات المواقع الاستراتيجيَّة، سواء أكانت على المعابر المهمَّة، أم في مناطق التَّوتُّر الَّتي قَدْ تُهدِّدُ المصالح الأمريكيَّة أو تعرِّضها للخطر. وإذا ما نظرنا إِلَى خارطة القواعد العسكريَّة للولايات المتَّحدة الأمريكيَّة لوجدنا هذا الأمر متحقِّقاً لها إِلَى حدٍّ جدِّ بعيدٍ، ولذلك لم يبق عليها إلاَّ تعزيز مكانتها ومواقعها في هذه البلدان، وهذا ما هي آخذةٌ فيه فعلاً، سالكةً كلَّ السُّبل المؤدِّية إِلَى هذا الغرض..

«إن (جغراسيا Geopolitics)[٥٩] القيادة العسكريَّة العالميَّة للولايات المتحدة هي جغراسيا حقيقيَّة وليست محض (جغراتيجيا Geostrategy)[٦٠]،

---

(٥٨). سمير كرم: **الصدام مع ليبيا، لكن الهدف... أوربا**. ضمن مجلة **الكفاح العربي**. بيروت. العدد ٧٢٠. ٨ أيار/ مايو ١٩٩٢م. ص ٢٤.

(٥٩). لم يترجم أحد لفظ (Geopolitics). فيما أعلم. وإنَّما استخدمت في الترجمات العربية اللفظة الأجنبية ذاتها (جيوبوليتيكا)، وقد اكتفى بعضهم بتعريب نصفها الأول فَقَطْ فقال (جغرابوليتيكا). ولقد آثرنا أن نعرِّب هذا المصطلح إِلَى (جغراسيا)، ناحتين إياه من جغرافيا وسياسة، كما في الاصطلاح الأجنبي ذاته

أعنى بذلك أنَّ المهام المنوطة بمختلف القيادات العسكريَّة المحليَّة يتمُّ تحديدها بناء على تصورات خاصة بالطَّبيعة السياسيَّة للتهديد، وهى تصوُّرات تختلف من منطقة إلَى أُخْرَى»(٦١).

وبالاستناد إلَى هذه التَّصوُّرات «ينبغي . مثلاً ـ للقيادة العسكريَّة الدَّاخليَّة (الولايات المتَّحدة . كندا . المكسيك)، مع امتدادها باتِّجاه جُزُرِ الكاريبي وأمريكا الوسطى، أن تكون قادرةً على التَّدخُّل، بكثافةٍ عند الاقتضاء، وذلك لأنَّ الباحة الخلفيَّة للولايات المتحدة (المكسيك، أمريكا الوسطى، جزر الكاريبي) لا بدَّ لها من البقاء ضمن التَّبعيَّة السياسيَّة المطلقة لواشنطن، وليست كوبا، في هذا الإطار سوى وجودٍ مسموحٍ به موقَّتاً»(٦٢)، لأسبابٍ يعود لواشنطن وحدها تقديرها، والخليج العربي يقعُ في المستوى ذاته من الأهميَّة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكيَّة، وهو بمكانة المجال الحيويِّ لها. ويلحق بهذه المنطقة، بحكم الضَّرورة، عموم الشَّرق الأوسط بدءاً من الباكستان وصولاً إلى وادي النِّيل والقرن الإفريقي، لإحكام الهيمنة على الممرَّات والمضائق المهمَّة؛ (قناة السويس، ومضيق باب المندب، ومضيق هرمز).

المنحوت من هاتين اللفظتين. ولقد آثرنا أيضاً أن نأخذ النصف الأول من اللفظتين لأنَّ ذلك أقرب إلَى جو المصطلح وإيقاعه، وإن كان الشائع في النحت أن يؤخذ النصف الأوَّل من الأوَّل والنصف الثاني من الثاني، لأن التركيبة النحتية هنا (جغراسة) تبدو نابية عن الذوق اللغوي المألوف لدينا.

(٦٠) . كذلك شأن الاصطلاح Geostrategy) لم يعرَّب فيما أعلم أيضاً، وقد آثرنا تعريبه إلَى (جغراتيجيا) نحتاً من جغرافيا واستراتيجيا، وإن كانت استراتيجيا في الأصل غير عربية، ولكن دَرَجَ الباحثون على استخدامها كما من دون تعريب.

(٦١) . سمير أمين: **النزعة العسكرية الأمريكية في النظام الدولي الجديد** . ص٣٥.

(٦٢) . م. س . ذاته.

والحـقُّ «أنَّ الولايـات المتحـدة الأمريكيَّـة تملـك تصـوُّراً عالميًّـا لهيمنتهـا الشَّـاملة؛ الاقتصـاديَّة والسياسـيَّة والعسـكريَّة، وهـي القـوَّةُ الوحيـدة التـي نظَّمـت قيادتهـا العسـكريَّة علـى الصَّـعيد العـالمي (مطوِّقـةً كتلـة الاتحـاد السـوفيتي ـ الصَّـين)»[٦٣]، واليابـان، وأوربـا، وإن كانـت الحليـف الأقـرب، وإفريقيـا. كـل منطقـة حسـب أهميَّتهـا. ولقـد ورثـت هـذا التَّصـور الجغراسـي عـن إنجلتـرا التـي كانـت تنظـر إلَى نفسها من خلاله.

ثالثاً: ولكن إحكام السَّيطرة على مصادر الثَّروة والطَّاقة، والمواقع الاستراتيجية ليس يكفي، إذ إنَّ الولايات المتَّحدة، ولاسِيَّما حاليًّا، بأمسِّ الحاجة . على ا لأقل ـ إلى تحقيق التَّوازن في الميزان التِّجاري، وتحقيق الكفاية الذَّاتيَّة لتحويل مشاريعها المتعدِّدة والمختلفة، وتغطية العجز الواقعة فيه من دون الاستجداء بالقوَّة الذي كانت تمارسه فيما مضى على حلفائها وأتباعها، لأنَّ (البعبع) الذي كانوا يخشون، ويدفعون الأتاوات درءاً لخطره قد انتهى.

ولذلك فإنَّ الولايات المتحدة بحاجة إلى ا لأسواق الواسعة لتصريف منتجاتها وبضائعها، ونظراً لأنَّ السِّلع الأمريكيَّة غالباً ما تكون أبهظ ثمناً من غيرها، لأسباب كثيرة، منها ارتفاع أجور الأيدي العاملة، وخصوصيَّة الصِّناعة ا لأمريكيَّة وأساليب إنتاجها، فإنَّ المنافسة على الأسواق ستكون ضارية، وهذا ممَّا قَدْ يجعل الولايات المتحدة تفرض سلعها فرضاً على أتباعها من دول العالم الثالث . وحَتَّى حلفائها الأقوياء (أوربا واليابان) ـ

(٦٣) . م. س . ص ٣٥.

وإغلاق أسواق هذه البلدان أمام سلع الدول الأُخْرى. وهذا أمرٌ واقعٌ فعلاً في كثيرٍ من الدُّول، ولَعَلَّ دولاً أُخْرَى في طريقها إلَى المصيدة. وَثَمَّة وسائل وأساليب متعدِّدة تتَّبعها الولايات المتحدة لتحقيق هذا الغرض، كجرِّ هذه الدُّول بالمساعدات وإغراقها بالديون.

رابعاً: وليس من مصلحة الولايات المتَّحدة والدول الرأسماليَّة الصِّناعية كلها تحقيق أيِّ تقدُّم علمي أَو تقاني (Technological)[٦٤]... في بلدان العالم الثالث النامية والمتخلِّفة، لأنَّ ذلك التَّقدُّم سيؤدِّي على نحوٍ أو آخر إلَى تحقيق الكفاية الذَّاتية، أَو مستوًى معيِّناً منها، وهذا المستوى من تحقيق الكفاية الذَّاتية يعني إغلاق ا لأسواق الدَّاخليَّة أمام سلع البلدان الرأسماليَّة، ولذلك تسعى الدُّول الرأسماليَّة جاهدةً للحيلولة دون أيِّ تقدُّمٍ أو تطوُّرٍ في هذه البلدان، وذلك باحتكار كلِّ قنوات نقل التَّقانة (Technology) مكرِّسةً جهودها لتغليب الأنماط الاستهلاكيَّة على هذه البلدان. وإن كان لا بدَّ من نقل التَّقانة إلَى هذه البلدان تحت ضغوطٍ أَو ظروفٍ معيَّنةٍ فإنَّهُ غالباً ما يكون على هيئة استثمارات للدُّول الرَّأسماليَّة، أَو على الأقلِّ تحت إشراف شركاتها ومؤسَّساتها، بحيث تُوَجَّهُ إلَى تخديم دول المراكز الرَّأسمالية، وتصنيع ما تحتاجه هذه الدُّول مِمَّا تعاف تَكَلُّفَ الجهد على إنتاجه فيها.

وليس هذا فحسب، بل إنَّ الولايات المتحدة بالتَّعاون مع حلفائها، وإشراف هيئة الأمم المتحدة، ستقف باسم الشَّرعيَّة الدُّوليَّة حائلاً أمام نشوء

---

(٦٤) . ما زال كثير من الباحثين العرب يستخدمون هذا الاصطلاح كما هو بلفظته الأجنبيَّة على الرَّغْمِ من أنَّ ثَمَّةَ اتفاقاً أو شبه إجماع على تعريبه إلَى (تقانة)، ونقول: تقاني، وتقانياً... ولذلك اقتضى التنويه.

أيِّ قوَّةٍ جديدةٍ على السَّاحة العالميَّة، لتظلَّ وحدها بمنزلة الآمر الناهي، بل الآمر الناهي الأوحد، والشرطي الأمين الحريص على الأمن والسِّلم العالميين. والولايات المتحدة بحكم مكانتها وخصوصيَّة موقعها هي وحدها القادرة على معرفة أعداء الأمن والسلام وتحديدهم بالاسم، وليس الفرق كبيراً، بين من يتمرَّد على الإرادة أو الشَّرعيَّة الدوليَّة؛ عسكريًّا أو عقائديًّا أَو تقانيًّا...

والأمثلة المؤكِّدة لهذه السِّياسة كثيرٌة جدًّا، لَعَلَّ أسطعها وضوحاً فيما يخصُّ أمَّتنا العربيَّة قيام طائرات الكيان الصهيوني بقصف المفاعل النَّووي العراقي عام ١٩٨١م، وشن حملة تشويهيَّة وتحريضيَّة واسعة النِّطاق بقيادة الولايات المتحدة، على مصنع ا لأدويَّة في ليبيا عام ١٩٨٩م، وتتويج هذه الحملة بتدميره، وإثارة الشُّبهات على الجزائر والادعاء بأَنَّها تتَّجه إِلَى تصنيع الأسلحة النَّوويَّة... و«أمَّا العلاقة بين استخدام عبارة تقانة وقصف مفاعل تموز العراقي، وحملة التَّحريض ضد شركة إنتاج الأدوية في الجماهيريَّة الليبيَّة، فنما هي العلاقة بين من يريد أن يفرض سيطرته على الوطن العربي، وبين من أُسْنِدَتْ إليه أَو أسند إِلَى نفسه مهمَّة منع هذا الوطن بالقوَّة من اقتناء الآلات والمعدَّات والعلوم الَّتي تسمح له ببناء قاعدةٍ علميَّةٍ و (صنائعيَّةٍ ـ تَقانيَّةٍ)[٦٥] مستقلة، حَتَّى ولو كان هذا البناء بالتَّنسيق مع مصدِّري (التَّقانة) أنفسهم، وفي أطر محدودة، ولأغراض محض مدنيَّة. بمعنى آخر ليس على العرب . والعالم الثالث عموماً . أنْ يقبلوا بالخضوع فحسب، بل هم مُكْرَهُون، بألف حيلة وأسلوب،

(٦٥) . سيستخدم المؤلِّف كلمة صنائعيَّة بوصفها مرادفة لـ تقانيَّة.

سلمي أَو عسكري، على التَّخلِّي عن كلِّ فكرة أَو محض حلم بالتَّحليق عالياً وعلى نحوٍ مستقلٍّ عن الغرب على مستوى ابتكار (تقانة) خاصَّة بهم، أَو بناء قاعدةٍ علميَّة وطنيَّةٍ كفيلة بتحقيق التَّنمية، المفقودة حَتَّى الآن»(٦٦).

وعلى ضوء هذه الاعتبارات والتَّوجُّهات الرأسماليَّة، كانت هناك لوائح من المحظورات والممنوعات على الشَّركات التَّابعة للدُّول الرأسماليَّة، هي بمنزلة قيودٍ لتكريس رسوف البلدان النَّامية تحت وطأة الهيمنة الرأسماليَّة الغربيَّة، ويمكن تلخيص هذه القيود. كما جاء في إحدى الدِّراسات، على النَّحو التَّالي(٦٧):

١ . لا تُصَدِّرُ الشَّركاتُ الأجنبيَّةُ إلا التِّقانة ذات النَّفع الكبير– لها– أو ذات التَّأثيرات البيئيَّة الضَّارة.

٢ . إنَّها تشَجِّعُ على نقل التِّقانة المفيدة في تطوير استخراج المواد الأوليَّة، كالنفط واليورانيوم، وتحتكر في الوقت نفسه سوق تصنيع هذه المواد أو تسويقها.

٣ . تشترط الشَّركات الأجنبيَّة على الأقطار العربيَّة، وسائر البلدان النامية، شراء المواد الأوليَّة أَو الوسيطة، أو الأدوات الاحتياطيَّة للتِّقانة، الَّتي تصدِّرُها إلى تلك الأقطار والبلدان، (من هذه الشَّركات ذاتها).

٤ . تضع قيوداً على تصدير منتجات الأقطار العربيَّة إِلَى الأسواق الخارجيَّة.

---

(٦٦) . عفيف ضاهر: التكنولوجيا العربية العاجزة بين التبعية للخارج والتقصير في الداخل . ضمن مجلة **الوحدة** . العدد ٥٥ . نيسان/ أبريل ١٩٨٩م . ص ٦٧.

(٦٧) . م. س . ص ٧٣ . ٧٤.

٥ . تبيع التَّقانةَ ذاتَهَا بأسعارٍ مختلفةٍ وباهظة إلى أقطار عربيَّةٍ ونامية متخلِّفةٍ.

٦ . وأخيراً، تعيق الشَّركاتُ الأجنبيَّةُ عمداً عمليَّةَ البحث والتطوير في الأقطار العربيَّةِ والنَّامية.

وعلى هذا النَّحو لم يكن للأدمغة المبدعة، في البلدان النَّامية، مكانٌ ولا دورٌ في مواطنها، وليغدو نزف عقول هذه البلدان أمراً إلزاميًّا. ولتبدأ من ثَمَّ عمليَّةُ تفريغِ الوطن العربيِّ والعالم الثَّالث عموماً من طاقاته البشريَّة الخلاَّقة النَّاشطة. وليستمرَّ مسلسل إحكام الهيمنة والتَّطفُّل على مقدراته وثرواته وحضارته وثقافته... بحرمانه من بناء القاعدة العلميَّة الصَّلبة، ووضع العوائق والعراقيل أمام إشادته القاعدة التَّقانيَّة.

خامساً: رأينا فيما مضى، وسنرى الكثير من الفتن والخلافات الطبقيَّة والطَّائفيَّة والدينيَّة والإقليميَّة والنِّزاعات الحدوديَّة في وبين بلدان العالم الثَّالث، ورُبَّما أيضاً بلدان ذات مواقع متقدِّمة، لأنَّ سياسة (فرِّقْ تَسُدْ) مازالت هي الأنجع. وليس لذلك وحسب، بل لأنَّ ذلك سوق جيِّدَةٌ لتصريف الأسلحة وتجريبها من جهة، وخير وسيلةٍ لإنهاك هذه الدُّول وإرهاقها بالأعباء الثَّقيلة، وإغراقها بالديون وتكبيلها بها من جهة ثانية. ولتظلَّ من ثَمَّ ذيلاً وتابعاً للولايات المتحدة وغيرها من الدُّول الرأسماليَّة الصِّناعيَّة...

سادساً: وأخيراً، ثَمَّةَ دولٌ لا داعي لوجودها ولا مسوِّغ؛ فلا هي غنيَّة بالثَّرواتِ الباطنيَّة، ولا أراضيها مناسبة تماماً للزراعة، ولا

موقعها استراتيجيٌّ، وليس في مكنتها أن تخدم المصالح الأمريكيَّة... وفي حقيقة الأمر، لو أنَّ شعوبَ دولٍ من هذا الصنف ماتت جوعاً أو عطشاً أو غرقاً... لكانت نسياً منسيًّا عند الولايات الأمريكيَّة المتحدة، ورُبَّما الأمم (الأوربيَّة . المتحدة . لاحقاً). وهنا تظهر الدلالات الحقيقيَّة للواجب ا لأخلاقي الذي يدفعُ الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وغيرها، إلى تقديم المساعدات الإنسانيَّة للبلدان المنكوبة بالكوارث الفاجعيَّة؛ من زلازل وبراكين ومجاعات وفيضانات... فالواجب في حقيقة الأمر ليس أخلاقيًّا، وإنَّما هو واجبُ المصالح السِّياسيَّة والاقتصادية والعسكريَّة والاستراتيجيَّة... والمساعدات ليست للإنسانيَّة، وإنَّما هي للإذلاليَّة...!!

وأخيراً

مهما يكن من أمر هذا التَّنافس أو الصِّراع أَو التَّناحر بين دول أوربا والولايات المتحدة الأمريكيَّة، مجتمعةً ومتفرِّقةً، فإنَّ الخاسر الأكبر هو دول العالم الثالث، أو النَّامي، أو المتخلِّف، ولَعَلَّ أكثرها خسارةً هي الدُّول العربيَّة، فقد استطاعت أوربا ـ أو التَّطورات والأحداث الأخيرة ـ أن تنقل ساحة الصراع الَّتي أرهقت كاهلها بالتَّوتر والرُّعب والقلق عقوداً عديدةً، إلَى مناطق أخرى بعيدة عنها، هذا من الناحية الأولى. أما النَّاحية الثَّانية فتتمثَّل في نهب ثروات وخبرات بلدان العالم الثالث، وإبقائها على رغم أنفها عالماً ثالثاً، خاضعاً لمختلف القيود الدَّاخليَّة والخارجيَّة، من تخلُّف وجهلٍ وضعفٍ وبعدٍ عن الحضارة والتَّقنية والتَّقانة والتَّطوُّرات

العلميَّة... وخضوعٍ للهيمنة الخارجيَّة الَّتي تفرض ذاتها فرضاً، بمختلف الوسائل والأشكال والأساليب.

ولذلك: على هذه البلدان الَّتي ما فتئت تتعرَّض للهجماتِ الشَّرسة، بمختلف أشكالها وألوانها، من الدُّول الاستعماريَّة والرأسماليَّة منذ قرون طويلة؛ حكوماتٍ وشعوباً، أن تعيد حساباتها من جديد على نحوٍ صحيحٍ يحفظ لها ماء وجهها أمام الأجيال القادمة، وأن يبقى لهذه الأجيال من العزَّةِ والكرامة ما يجعلها على الأقلِّ غير متنكِّرَةٍ لماضيها وأسلافها..

* * *

الفصل الخامس

مصـــــير حلـــــف شـــــمال الأطلسـي

إنَّ انهيار حلف وارسو وتهافت معظم أعضائه على الانضمام إلى المعسكر الغربي ليس يعني بالضَّرورةِ انتهاءَ مهمَّة حلف شمال الأطلسي ودوره. فلو عدنا أدراجنا إلى ميثاق هذا الحلف لوجدنا أنَّ تأسيسه نصَّ في ميثاقه على أَنَّهُ منظَّمةٌ دفاعيَّةٌ لحفظ الأمن وتحقيق السَّلام العالمي.

إنَّ انهيار حلف وارسو الذي تأسَّس رسميًّا في الرابع من حزيران/ يونيو ١٩٥٥م، بل وتهافت معظم أعضائه على الانضمام إلى المعسكر الغربي، وقد انضمَّ كثيرٌ من أعضائه رسميًّا إلَى هذا المعسكر، ومنهم من ينتظر... ليس يعني بالضَّرورةِ انتهاءَ مهمَّة حلف شمال الأطلسي ودوره. فلو عدنا أدراجنا إلى الرَّابع من نيسان/ أبريل ١٩٤٩م، إذ تَمَّ توقيع ميثاق هذا الحلف لوجدنا أنَّ تأسيسه، وإن كان بدافعِ الوقوف أمامَ المدِّ الشيوعي ومحاصرته، فإنَّهُ قد نصَّ في ميثاقه على أَنَّهُ منظَّمةٌ دفاعيَّةٌ لحفظ الأمن وتحقيق السَّلام العالمي.

ولو عدنا إلى بعض النَّظريَّات السِّياسيَّةِ الَّتي ظهرت في القرن التَّاسع عشر، وأيدتها مؤتمراتٌ عقدت لهذا الشأن مثل نظريَّة التَّوازن الأوربي، ونظريَّة المشروعيَّة، ونظريَّة التَّدخُّل، الَّتي تقتضي في جملتها تقليمَ أظافرِ كلِّ متمرِّدٍ يهدِّدُ مصالح الدول الأوربيَّة، داخليًّا كان هذا المتمرِّد أم خارجيًّا. ثمَّ إعادة المخلوعين إلى عروشهم، أَو بالمعنى الأكثر دقَّةً المحافظة على الأنظمة الحاكمة الَّتي تناسب مصالح الدول الأوربيَّة القويَّة، ولو كان ذلك بالتدخل العسكري الجماعي لحسم هذا الموقف،

حسبما أقرَّته نظريَّة التَّدخُّل، لفهمنا المقصودَ من حفظ الأمن والسَّلام العالميين، اللذين ينصُّ عليهما ميثاقُ حلف شمال الأطلسي.

ومن ثَمَّ فإنَّ تفكُّك أواصر هذا الحلف في الآونة الحاليَّة، أو على الأقلِّ في الأفق المستقبلي المرئي، لبس وارداً، بل إنَّ الأوضاع الراهنة ستدعو هذا الحلف إلى تمتين أواصر علاقاته وشدِّها للمحافظة على الأمن والسِّلم العالميين حسبما يفهمهما الحلف. فإن كان من الأغراض الأساسيَّة للحلف فيما مضى مجابهة المدِّ الشيوعي وتطويقه، فإنَّ المهمَّة الآن هي تطويق أيِّ مدٍّ في البلدان النَّامية والمتخلِّفة يعرِّض المصالح الغربيَّة للخطر، وليكونَ بذلك العالم الثالث قاطبةً مستهدفاً الآن أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، لأنَّ زحمة الأحداث والمشكلات الَّتي رُبَّما كانت تحول نوعاً ما دون ممارسة الرَّقابة على هذه الدول قَدْ انقشعت سُحُبُها الآن، وفسحت في المجال أكثر للدول الرأسماليَّة لممارسة رقابتها وضغوطها على العالم الثالث الذي أصبح كله مفتوحاً أمامها بعد انقشاع سحب الشيوعية الَّتي خيَّمت فوقها ردحاً من الزَّمن، رافعة في أثنائه يد الوصاية الغربية عنه.

«إنَّ الحقيقة الأساسيَّة . الَّتي . لا تلغيها بعض التَّحفُّظات الضَّروريَّة . هي أنَّ الولايات المتحدة خاصَّة، والدُّول الرأسماليَّة الرئيسيَّة عامَّةً، الَّتي اعتادت نهب موارد بلدان العالم الثَّالث واستيراد موادها الأوَّليَّة الاستراتيجيَّة بأسعار منخفضة جدًّا . نتيجةَ علاقات القوَّة . لا ترغب في التكيُّف مع الإجراءات الَّتي تتَّخذها هذه البلدان، بينما تطالب أمريكا دول العالم الثالث بالتكيُّف مع الإجراءات الَّتي تتَّخذها المراكز الرأسماليَّة.

فالولايات المتحدة مستعدَّةٌ للجوء إلى القوَّة المباشرة وغير المباشرة للحيلولة دون ارتفاع أسعار استيراداتها من السلع الاستراتيجية، ودون تأميم استثماراتها في العالم الثالث»[٦٨]. وهذه حقيقةٌ واضحةٌ تكشف عنها الممارسات المستمرة والكثيرة للولايات المتحدة في مختلف بقاع العالم الثالث وتؤكِّدها، وفي اجتماع عُقِدَ في البيت الأبيض في ٢ آب/ أغسطس ١٩٩٠م، مخصَّص لمناقشة الخيارات المتاحة أمام الولايات المتحدة تجاه أزمة الخليج أَخَذَ وزير الماليَّة **نيكولاس برادي** يتحدَّثُ عن كيفيَّة تمكُّن الولاياتِ المتحدة من التكيُّف مع الارتفاع المتوقَّع في أسعار النفط، فقاطعه الرئيس **بوش الأب** قائلاً:

«دعنا نكن واضحين في شيء واحدٍ، نحن لسنا هنا للكلام في التَّكيُّف، نحن لن نخطِّطَ لِ كَيْفَ يمكنُ أن نتعايش مع ذلك»[٦٩].

والحقُّ أنَّ الدُّول الرأسماليَّة الصِّناعيَّة الكبرى، وخصوصاً ما يسمَّى مجموعة الدُّول الصِّناعيَّة السَّبع، ومنها إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكيَّة: ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا واليابان ، وقد أدركت ومنذ زمنٍ أنَّ الأمور قَدْ تصير إلى ما صارت إليه من عودة الصِّراع على مصادر الطَّاقة والثروات والأسواق، ولذلك ما فتئت تخطِّطُ منذ زمنٍ من أجل إحكام السَّيطرة والهيمنة على بلدان العالم الثالث، وتطويق طاقاتها

---

(٦٨) . محمد الأطرش: **أزمة الخليج؛ جذورها والسِّياسة الأمريكيَّة تجاهها** . ضمن مجلة **المستقبل العربي** . بيروت . العدد ١٥٥/ ١ . ١٩٩٢م . ص٣٤.

(69) - Thomas L. Friedman and Patrick E. Tyler: **Road to the Gulf; Timetable for War was Fixed October**. International Herald Tribune. 4 – 3 – 1991.

وثرواتها، ففي مؤتمرٍ عقد مؤخَّراً لمندوبي هذه الدُّول السَّبع برز واضحاً سعي هذه الدُّول الصِّناعيَّة «إلى ربط اقتصادات البلدان النَّامية باقتصاداتها على نحوٍ فاعل، وتطويق الثَّروات الطَّبيعيَّة الأساسية والحيويَّة في تلك البلدان على نحو مباشرٍ أَو غير مباشرة، والتَّحكُّم بكلِّ مقدَّراتها»(٧٠).

إنَّ هذا التَّضافر وإن كان صميميًّا ومتجذِّراً بين البلدان الرأسماليَّة عموماً، ودول حلف شمال الأطلسي خصوصاً، إلا أَنَّهُ لم يثن الولايات المتحدة الأمريكيَّة عن إيلاء مصالحها ونفوذها الأوليَّة والمكانة الأولى في سلَّم أولويَّاتها حَتَّى ولو كان ذلك على حساب دول المعسكر الرأسمالي، وَثَمَّة جدالٌ يدور الآن في ا لأوساط الأمريكيَّة في كيفيَّة المحافظة على المصالح الأمريكيَّة، وكيفيَّة تعزيز هيمنتها ونفوذها، ويمكننا أن نميِّز على هذا الصَّعيد بين فريقين:

الفريق الأوَّل:

يضرب صفحاً عن التَّحالف الأمريكي الأوربي، وقد حذَّرَ وزيرُ الدِّفاع الأمريكي في تقرير قدَّمه إلى الكونجرس في كانون الثاني/ يناير ١٩٩٠م من أنَّ على الولايات المتحدة «أن تعترفَ بأنَّ تحدِّيات أبعد من أوربا ستضع أعباءً مهمَّة على قدراتنا الدفاعيَّة»(٧١).

---

(٧٠) . غسان كنج: **حرب اقتصادية بثروات البلدان النامية** . ضمن مجلة **الكفاح العربي** . بيروت . العدد ٦٧٨ . تاريخ ٢٩ تموز/ يوليو ١٩٩١م . ص ٣١.

(71) - Michael T. Klare: **Behind Desert Storm; The New Military Paradigm**. Technology Review. May- Jun. 1991. P. 31.

ولذلك، كما يرى الدكتور **سمير أمين**، فإنَّ الولايات المتَّحدة يمكنها، وينبغي عليها، أن تواجه التَّحدي وحدها، وأن تدرك أنَّ (حماية) الأوربيين (وحماية اليابانيين على نحو أقل) أمرٌ ليس يهمها، وأَنَّهُ قد يكون من الضروري التضحية بحياة أوربا عند الاقتضاء، بقصد تجنُّب خراب أمريكا الشمالية(٧٢).

الفريق الثاني:

وهو أقلُّ تطرُّفاً تجاه أوربا، ولكنَّهُ ليس أقلَّ حرصاً على المصالح الأمريكيَّة. ويرى أنَّ على الولايات المتحدة أن تظلَّ حامية النِّظام الرأسمالي والمدافع ا لأوَّل عن الحلفاء، وهذا الأميرال الأمريكي **كارليل تروست** يقول في تقرير قدَّمه إلى الكونغرس في مطلع عام ١٩٩٠م: «إنَّ الموضوع الدفاعي الأساسي بالنِّسبة إلى الولايات المتحدة في المستقبل المنظور هو المحافظة على قوَّةٍ حربيَّة قادرةٍ على الدِّفاع عن مصالحنا ومصالح حلفائنا من تهديدات إقليمية مختلفة»(٧٣).

ولكنَّ هؤلاء الحلفاء ينبغي ألاَّ يكونوا حلفاء شركاء، وإنما حلفاء تابعين، يقتدون بالخطى الأمريكيَّة، ويلتزمون بها، إذ يرى هذا الفريق أنَّ «المواجهة تقتضي التعبئة الإيجابية لأوربا واليابان بالتبعية فَقَطْ، من أجل الهيمنة على (متوحشي) العالم الثالث»(٧٤). وإخضاعهم لتلبية متطلَّبات هذا العالم ا لأول (العالم الرأسمالي). وانطلاقاً من هذا الأساس في تحييد

---

(٧٢) . سمير أمين: **النزعة العسكرية الأمريكية في النظام الدولي الجديد** . ص ٢٣ . ٣٩.

(73) - Michael T. Klare: **Ibid**. P. 28.

(٧٤) . سمير أمين: م. س . ص٣٩.

أوربا واليابان عن الصِّراع العسكري، ولتظلَّ الولايات المتحدة بذلك وحدها صاحبة القرار العسكري، فإنَّ الولايات المتحدة وباختصار «ستحارب قوى العالم الثَّالث الصاعدة باستخدام أسلحة كانت مخصَّصة للحرب مع الاتحاد السوفيتي»(٧٥).

ولتأكيد تهميش الدور الأوربي والآسيوي سياسيًّا وعسكريًّا واقتصاديًّا، إلى جانب ما سبق ذكره فقد «وَضَعَت استراتيجية الولايات المتحدة نصب عينيها هدفاً رئيسيًّا أكبر هو الحيلولة دون توحيد أوربا وآسيا، أي وبالملموس اليوم: منع قيام أي تقارب ممكن بين أوربا الغربيَّة والاتحاد السوفيتي والصين . واليابان ... إنَّ أيَّ تقارب من هذا النوع سينظر إليه وكأَنَّهُ كابوس... وأي كابوس؟! إنَّ ذلك هو الهدف الرئيسي في استراتيجية الولايات المتحدة في السنوات المقبلة»(٧٦).

* * *

(75) - Michael T. Klare: **Ibid**. P. 28.

(٧٦) . سمير أمين: م.س . ذاته.

الفصل السادس

الموقـــــف الأمريـــكي من القضـية الفلسطينية

رُبَّما لم تتوقع الولايات المتحدة أن تسير عربة السلام على النحو الذي سارت عليه، ولذلك بدأت العملية السلمية بحماس كبير، ولكِنَّها عندما رأت إقبال العرب المتهافت على إسرائيل حَتَّى قبل إنهاء مفاوضات السلام اضطرت للوقوف أمام نفسها وإعادة الحسابات من جديد؟

تحاول أمريكا أن تظهر أمام العالم على أنَّها حارسة الأمن والسلام، وأَنَّها صوت الحقِّ، ويد القانون، وأداة العدالة، وأَنَّها القلب النابض بالإخاء والمساواة، وأَنَّها تريد تعايشاً سلميًّا، وعالماً خالياً من العداوات والبغضاء والمشاحنات(٧٧)...

الآن، وبعد انتهاء الحرب الباردة نهايةً مدهشةً، بالانتصارِ السَّاحقِ للجانب الغربيِّ، بل للولايات المتَّحدة الأمريكيَّة تغيرت الظروف والشروط والمعطيات، فقَدْ أصبحت في نظر العالم، وكما هي تحاول أن تكرِّس ذلك بكلِّ قوَّةٍ واندفاعٍ؛ صاحبة الجلالة، إمبراطورة العالم. ومسوِّغها في ذلك أنَّ فريق الخصوم لم ينكسر في جولةٍ من جولات النِّزال وحسب، بل أعلن استسلامه وانسحابه من ميدان المنافسة والصِّراع. والذي يدهش أكثر أَنَّ فريق الخصوم هذا أعلن انتماءه لصاحبة الجلالة إمبراطورة العالم وولاءه لها.

إنَّ أهمَّ جانبٍ من جوانب انتهاءِ حرب الأعصاب الباردة وأخطرها هو الجانب العقائدي (الأيديولوجي) وليس الجانب العسكري وحده، فلو أنَّ هذا الحسم في حرب الأعصاب الباردة كان ذا بعدٍ عسكريٍّ فَقَطْ لاختلفت

(٧٧) . لأسباب فوق الإرادة حالياً تعذر العثور علىٰ هٰذا الفصل كما نشر في هٰذا الكتاب في طبعته الأولى. هٰذا الفصل في الحقيقة كما هو في الأصل مع بعض اللمسات التي أضيف إليه بعد بضع سنوات بهدف النشر في موضع آخر، وهي لمسات قليلة علىٰ أي حال.

النَّتائج كليًّا عمَّا آلت إليه، ولكان ثَمَّةَ استمرارٌ في الصِّراع قَدْ يؤدِّي بصورةٍ أو بأخرى إلى إعادة كفَّة التَّوازن الدُّولي إلى سابق عهدها. ولكنَّ المشكلة تكمن في أنَّ الذي انتهى إنَّما هو الصِّراع العقائدي، الذي يشكِّلُ في حقيقة الأمر أسَّ الصِّراع العسكريِّ ومتنه، وأساس انقسام العالم إلى الكتلتين؛ الشَّرقيَّة والغربيَّة، الاشتراكيَّة والرَّأسماليَّة... اللتين كانتا، كلٌّ منهما، تُظِلُّ مجموعةً من دول العالمِ الثَّالث بظلِّها، وترفع يَدَ وصاية الطَّرف الآخر عنها، وتقف وراءها وإلى جانبها سنداً وداعماً في قضاياها ومواقفها إلَى حدٍّ ما، ولكن بما يتَّفق مع أغراض هاتين المجموعتين ومصالحهما بالضرورة(٧٨).

وبذلك لم تنته حرب الأعصاب الباردة فَقَطْ، بل انتهى الصِّراع كليًّا، وانتهت المنظومة الاشتراكيَّة بنمطها الإنتاجي الخاص إلَى الاندراج في صلب المنظومة الرأسماليَّة وأنماطها الإنتاجية، ولتنخرط من ثَمَّ في عقائديتها السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، ولينتهي الصِّراع إلَى تآلفٍ وتحالفٍ، ولتفقد بذلك كثيرٌ من دول العالمِ سَنَدَهَا العقائديِّ والعسكريِّ.

إنَّ هذه الأحداث والتَّطوُّرات الَّتي بدأت خاصة عندما انهار الاتحاد السوفيتي والَّتي أفاضَ الباحثونَ في معالجتها، وأطنبوا في الحديث عنها، على غايةٍ من الأهميَّة والخطورة، ولا يمكن وسمها بالسَّهلة أو العاديَّة بحالٍ من الأحوال، لأنَّها وضعت العالمَ وجهاً

(٧٨) . مما لا بدَّ من الإشارة إليه هنا هو أنَّ تاريخ القطبيات الثنائية عبر التاريخ ليس في حقيقة الأمر إلا تقاطباً عقائديا بمعنى من المعاني.

لوجــهٍ أمــامَ هيمنــة الولايــات المتحــدة الأمريكيَّــة وتفرُّدهــا فــي قيــادة العــالم؛ سياســيًّا وعســكريًّا، كيفمــا تشــاء، وعلــى النَّحــو الــذي يعــزِّز مكانتها ومواقعها، ويرفد مصالحها بكل تأكيد.

وإزاء هذا الوضـع الجديـد أصـبح علـى صـاحبة الجلالـة إمبراطـورة العالم أن تعدِّل سياساتها إزاء مختلف دول العالم، وأن تعيد حساباتها من جديدٍ. ورُبَّما كانت علاقة الولايات المتحدة مع الكيان الصـهيوني، وعلاقة هذا الكيان مع العالم العربي هي أبرز المسائل الَّتي فرضت على الولايات المتحدة الوقوف عندها، وإعادة النَّظر فيها على أعين العالم على أقل تقدير.

لقد أرادت الولايات المتَّحدة كي تؤكِّد أنَّها فعلاً صاحبةَ الجلالةِ غيرَ منازعةٍ في ذلك، أنْ تظهرَ بمظهرين متباينين ومتناقضين في آن معاً. وقد أفلحـت فـي أحـدهما وأخفقـت فـي الثـاني حَتَّـى الآن، وأرجـح الظَّـنِّ أنَّهـا ستحافظ على إخفاقها في ذلك بامتياز.

أمــا المظهــر الأول الـذي تَوَشَّـحَتْهُ علـى أعـين العـالم فهـو مظهـر الأبَّهـةِ، والعظمـة، والجبـروت... مظهـر القائـد العسـكري الأول، والأقـوى، والقـادر علـى ضـبط الأمـور وإعادتهـا إلـى نِصَـابِهَا، والقـادر علـى فـرض إرادتـه علـى كلِّ متمرِّدٍ، وعلـى كلِّ من تسوِّلُ لـه نفسـه الخـروجَ عن طـوق السِّيادة والهيمنـة الأمريكيَّـة. وبهـذا المعنـى قـال الـرئيس **جـورج بـوش** فـي الثَّالـث عشـر مـن كـانون الثـاني/ ينـاير ١٩٩٢م فـي مدينـة كنسـاس الأمريكيَّة: «لقد ربحنا الحرب الباردة، وسوف نربح الحرب التَّنافسيَّة... إنَّنا

زعماءُ العالم المحترمون الذين لا ينازعون»[٧٩]. وكرر مثل هذه العبارة الرَّئيس التَّالي له **بل كلينتون**، وأعادها الرئيس **جورج بوش** بكلِّ الصُّور والألفاظ والمعاني المحتملة لها منذ أحداث الحادي عشر من أيلول وحَتَّى الآن.

وقد بدأت الولايات المتحدة ذلك بتجربة طريفةٍ . في إطار النِّظام الدُّوليِّ الجديد . هي القضاء على نظام الحكم في بنما، ومحاكمة رئيسها **داني**ي**ل نورييجا** شخصيًّا في المحاكم الأمريكيَّة بتهمة الاتجار بالمخدرات. ولتتوِّجَ هذه التَّجربة، في تلك المرحلة، بحشد الجيوش الأمريكيَّة في الخليج العربي، جارَّةً وراءها جيوش الدُّول العظمى، لتحرير الكويت، ذلك أنَّ التَّدخُّل العراقي في الكويت كان يعني خروجاً وتمرُّداً على إرادة صاحبة الجلالة أكثر مِمَّا كان يعني لها خرقاً للأعراف والمواثيق الدُّوليَّة. وقد أكَّدَت حربُ الخليج فعلاً تفوُّقَ السِّلاح الأمريكي، والقدرة العسكريَّة الأمريكيَّة، وأظهرت الولايات المتحدة بوصفها قائداً عسكريًّا للعالم. ولتسمر في ممارستها هذه طيلة السَّنوات التَّالية على انهيار الاتحاد السوفيتي ومن تجاربها الكثيرة ذلك إخفاقها في الصومال، وتغطيتها هذا الإخفاق في كوسوفو، وإبراز عضلاتها واستعراضها في أفغانستان مع ختام عام ٢٠٠١م، ولتتوج ذلك بالانقضاض على العراق وسحق نظام ودولة، ما أكثر ما قيل إنَّها تكاد تكون عظمى، في غضون عشرين يوماً.

---

(٧٩) . جريدة **البعث**– دمشق– العدد ٨٧٤٥.

وأمَّا المظهرُ الثَّاني، والذي يمكن وسمه بالترغيبي، فما زالت تجهد صاحبة الجلالة في أن تقدَّ من قماشه الأنيق البَرَّاق وشاحاً يناسب قدَّها، وهنا نتساءل: هل ستفلح في ذلك؟

قبل الإجابة عن هذا السُّؤال لا بدَّ أنْ نبيِّن أبعاد مضامينه، فما الذي نعنيه بالمظهر الترغيبي؟

لقد استطاعت الولايات المتَّحدة أن تفرضَ ذاتها عسكريًّا، وأن تظهر بوصفها قوَّة قائدةً ورائدةً، قادرةً على أن تفرضَ ذاتها في أيِّ وقتٍ تريد وأيِّ مكانٍ تشاء، ولاسِيَّما أنَّها انتصرت على أكبر الخصوم وأخطر المتحدِّين. ولذلك فهي تحاول أن تضرب ضربتها الكبرى في أن تظهر أمام العالم على أنَّها حارسة الأمن والسلام، وأَنَّها صوت الحقِّ، ويد القانون، وأداة العدالة، وأَنَّها القلب النابض بالإخاء والمساواة، فهي تريد تعايشاً سلميًّا، وعالماً خالياً من العداوات والمشاحنات... وإذا استطاعت ذلك فعلاً تكون قد ضربت ضربتها الكبر ى بأن سوَّغَت لنفسها أمام العالم أجمع الاحتفاظَ بكامل عدتها وعتادها العسكري الذي سيعينها على تحقيق العدالة والمساواة، وحفظ الأمن والسلام، وتسوِّغ لنفسها مقابل ذلك تماماً سحق أيِّ قوَّة ناشئةٍ، بحجَّةِ أنَّها تهديدٌ وخطرٌ على الأمن والسَّلام العالميين، فلا داعي لأيِّ دولة للتَّفكير في التَّسلح ولا مسوِّغ لها في ذلك طالما أن هناك عيناً ساهرة تحول دونَ الخروج على الشَّرعيَّة الدوليَّة، وتعيد الحق إلى أصحابه. وقد سعى الرَّئيس **بل كلينتون** تأكيد ذلك بِرِقَّةٍ واضحةٍ وشيءٍ من اللباقة طيلة فترتي رئاسته، ويحاول **جورج بوش** إقناع العالم بالقوَّة والإكراه والقهر والعنجهية أنَّ الولايات المتحدة تحمي السِّلم

والأمـن العـالميين، وأنَّ مـن يعاديهـا فإنَّمـا هـو يعـادي الحريـة والعدالـة والأخلاق والقيم والسَّلام!!

انطلاقـاً مـن هـذه الرُّؤيـا ذاتهـا الَّتـي يعتقـدها الأمريكيـون اعتقـد الكثيـرون مـع انهيـار الاتحـاد السـوفيتي خاصَّـة، ولاسِـيَّما فـي بلـدان العـالم الثالـث، أنَّ الولايـات المتحـدة جـادَّةٌ فعـلاً فـي تسـوية الخلافـات والنِّـزاعات الدوليـة، وإزالـة بـؤر التَّـوتُّر والقضـاء علـى الصِّـراعات المختلفـة. ذلـك أنَّ ظـروف المرحلـة المنصـرمة وشـروطها جعلـت هـذه الخلافـات والصِّـراعات مسـوَّغةً، بـل مفروضـةٌ مـن طرفـي النِّـزاع الأكبـر، لأنَّ كـلاًّ منهمـا يريـد الهيمنـة علـى القِطَـاعِ الأعظـم مـن بلـدان العـالم ليـتمكَّن مـن تهديـد الطَّـرف الآخـر. أمَّـا الآن، وفـي ظـلِّ سـيادة السِّياسـة الواحـدة، الَّتـي هـي سياسـة صـاحبة الجلالـة الأمريكيَّـة، إمبراطـورة العـالم، لـم يعـد هنـاك مسـوِّغٌ لهـذه النِّـزاعات والصِّـراعات، لأنَّ الأسـباب الموجبـة لهـا قَـدْ زالـت. ولـذلك مـن الأَوْلَـى بهـذه الصِّراعات والنِّزاعات أن تزول أيضا...

لَقَد كانت الولايات المتحدة تتدخَّلُ، وتثيرُ الفتنَ والقلاقل هنا وهناك للمحافظة على قواعدها السِّياسيَّة والعسكريَّة، وإيجاد قواعد جديدة تمكِّنها من تهديد خصمها على نحوٍ أكبر. أمَّا الآن فلا يوجدُ ما يهدِّدُ الأمن الأمريكيَّ، أو الأمن العالميَّ كما تفهمه الولايات المتحدة. ومن ثَمَّ لم يعد ثَمَّةَ مسوِّغٌ لأن تدعم الولايات المتحدة بُؤَرَ التَّوتُّرِ والصِّراع في العالم.

وبالقياس التفاؤلي ذاته نَظَرَ التَّفاؤليُّون العربُ إلى موقف الولايات المتحدة من القضيَّة الفلسطينيَّة والصِّراع العربيِّ الصهيونيِّ، فرأوا، وأكبر

الخطأ ما رأوا، أنَّ الدَّعم الأمريكيَّ المتزايد للكيان الصهيوني وعدِّه جزءاً من الكيان الأمريكيِّ، قَدْ كان بدافع الضَّغط على الأنظمة العربيَّة الَّتي يدعمها الاتحاد السوفيتي، وللوقوف أمام المدِّ الشِّيوعيِّ في هذه المنطقة، هذا من جهة، ومن جهةٍ ثانيةٍ لضمان مصالحها في الخليج العربيِّ والمنطقة العربيَّة، أمَّا الآن، ومع زوال التَّهديد الشيوعي وتلاشي خطره، وتَعَزُّزِ الهيمنة الأمريكيَّة على نِفْطِ الخليج العربيِّ، لم يعدْ هناك ما يسوِّغُ لصاحبة الجلالة أن تستمرَّ في هدر إمكاناتها، وإغداق دعها ومساعداتها للكيان الصهيوني، إذ ليس ثَمَّةَ عدوٌّ في المنطقة يُلجئُ الولايات المتحدة إلى استخدام الكيان الصهيونيِّ لتهديده والضَّغط عليه... ولذلك أصبح واجباً عليها . لأنَّ مصلحتها تقتضي ذلك ـ أنْ تسوِّي الصِّراع العربيَّ ـ الصهيونيَّ، وتقضي على بؤرة التَّوتُّرِ الخطيرة في هذه المنطقة الحسَّاسة والمهمَّةِ من العالم، لتضمنَ بذلك صدق صداقة العرب وحسن ولائهم.

وقد أكَّد هذه النَّزعة التَّفاؤليَّة عند أصحابها ظهورُ الولايات المتحدة فيما بعد حرب الخليج، بمظهر الوفي الأمين، الحريص كلِّ الحرص على الوفاء بتعهداته والتزاماته في تسوية الصِّراع وإحلال الأمن والسَّلام في المنطقة عندما نَشَطَ وزير خارجيَّتِها **جيمس بيكر** في رحلاته المكوكيَّة المكثَّفة والكثيرة للإسراع في عقد (مؤتمر السَّلام).

ولكنَّ تعنُّتَ الكيان الصِّهيونيِّ وإصراره على التشبُّثِ بمواقفه العدوانيَّة والتَّوسعيَّة، والممارسات المستمرَّة على هذا الصَّعيد، والَّتي تزايدتْ

منذ ما قبلَ عَقْدِ المؤتمر، مثل إقامة المستوطنات الجديدة لتوطين المهاجرين اليهود السوفيت الجدد، والتَّوسُّع في السَّيطرةِ على مناطق جديدة للعرب الفلسطينيين، وإقصاء الفلسطينيين وطردهم من الأراضي العربيَّة المحتلَّة، والطَّلعات الاستفزازية للطيران الصهيوني في السَّماء اللبنانيَّة... كَشَفَ لنا بجلاء، كما يبدو ظاهر الأمر، عن العجز الأمريكيِّ عن الضَّغط على الكيان الصِّهيوني وإلزامه بمبادئ الشَّرعيَّة الدوليَّة واحترامها، والرُّضوخ لقراراتها، وعلى رغم ذلك مازلنا نسمع بين الحين والحين تعهُّداً والتزاماً أمريكيًّا بإنجاح مؤتمر السَّلام وفضِّ النِّزاع العربيِّ . الصهيوني...!!!

فكيف سَتُنِجْحُ الولايات المتحدة مؤتمر السلام؟!

انطلاقاً مِمَّا سبق، ومن أنَّ الكيان الصهيوني . كما يعتقد بعضهم . بات يشكِّلُ خطراً على تفرُّد صاحبة الجلالة، بتنامي قوته وتمرُّده على الإرادة الأمريكيَّة، بل وبفرض إرادته على الولايات المتحدة ذاتها، مما دعا إلى طرح العديد من التساؤلات في أوساط الكونجرس الأمريكيِّ، تتركَّز في سؤالٍ رئيسٍ هو:

«أمريكا أم إسرائيل؟ أيُّهما الأبدى والأكثر أهميَّةً: المصالح ا لأمريكيَّة أم المصالح الإسرائيلية؟».

يصرُّ المتفائلون على أنَّ ما تعنيه الولايات المتحدة من إنجاح مؤتمر السَّلام هو التَّدخُّل الفعلي لحسم الموقف بالضَّغط على الجانب الصهيوني، وإرغامه على الرُّضوخ لمنطق الحقِّ، وإرادة الشَّرعيَّة الدُّوليَّة، والقبول بالقرارين (٢٤٢) و(٣٣٨)، وقبول مبادلة الأرض بالسَّلام.

رُبَّما يكون لهذا التفاؤل ما يسوِّغه، ويعطيه حدًّا ما من المصداقيَّة لولا أنَّنا نقف أمام خصمٍ لا يرى العدل عدلاً ما لم ينصفه ولو على حساب الآخرين، ولا الشَّرع شرعاً ما لم يسنَّهُ هو، ولا القانون قانوناً ما لم يقف في صفه... ولذلك فإنَّ كلَّ الاعتقادات السَّابقة، إنَّما هي اعتقاداتٌ واهمةٌ، تقوم على أسسٍ واهيةٍ، وإن لم تكشف السنوات العشر من المفاوضات فستكشف ا لأيَّام القريبة القادمة لأصحاب هذه الاعتقادات عن مدى استغراقهم في أحلامهم الخادعة واسترسالهم بها.

قد يعتقد بعضٌ ما، ولاسِيَّما أولئك المتفائلون المعوِّلون على حسن النَّوايا الأمريكيَّة أنَّنا نَزَّاعون إلى التشاؤم، ورُبَّما اليأس، ولاسِيَّما أنَّ المفاوضات مازالت مستمرَّة، إلى جانب تدفُّق التَّعهُّدَات الأمريكيَّة بإنجاح مؤتمر السَّلام، وبقاء الولايات المتحدة قوَّةً دافعةً لعمليَّةِ السَّلام كلَّما أبدى العرب، أو وفودهم إلى مؤتمر السَّلام، تذمُّرهم من التَّعنُّتِ الصهيوني بطرح أمورٍ هامشيَّة للنِّقاش، ومواضيع لا غاية لها إلا أن تعرقل مسيرة السَّلام وتسوية الأوضاع في المنطقة.

فهل نحن.. ومن ذهب معنا إلى هذا الرَّأي، متشائمون فعلاً؟

لا أعتقد ذلك أبداً، لأنَّ الوقائع التَّاريخيَّة القريبة والبعيدة، والاستدلال الكشفي للمستقبل بناءً على المعطيات الواقعيَّة؛ الماثلة أمام أعيننا وفي أذهاننا، تؤكِّد، وعلى نحوٍ يمكننا وسمه بالقطعي، بأنَّ مؤتمر السَّلام إنَّما هو لعبةٌ قادتها الولايات المتحدة الأمريكيَّة لتمرير مخطَّطاتها الاستعماريَّة،

وتعزيز مواقعها ومصالحها في المنطقة العربيَّة، وأن تظهر أمام دول العالم على أنَّها فعلاً قائدة مسيرة السلم والوفاق العالمي!!... فكيف كان ذلك ولماذا؟

للإجابة على هذا السُّؤال لا بدَّ من تأكيد الحقيقة الَّتي يعلمها الجميع، وهي أنَّ الغرب أوجد هذا الكيان ليبقى قائماً، لا لينتهي، وكثيرون أولئك المسؤولون الغربيون الذين صرحوا بذلك، ومن هؤلاء «الجنرال المتقاعد **بوب تايلور** مدير الدِّراسات العسكريَّة في مركز الدراسات الاستراتيجيَّة الدُّوليَّة، الذي أجاب بانفعال عما إذا كانت أبحاثهم في نتائج حرب الخليج قَدْ أوصلتهم إلى الاستنتاج بأن اعتماد الولايات المتحدة على إسرائيل قد انتهى، وأن إسرائيل لم تعد كما كانت منذ أكثر من ثلاثين عاماً، الرَّصيد الاستراتيجي للولايات المتحدة في الشرق ا لأوسط... وكانت إجابته انفعاليَّة بناءً على تصوُّرِ أنَّ السُّؤال ينطوي على تشكيكٍ في مستقبلِ إسرائيل، وليس فقط على مستقبل العلاقات الأمريكيَّة الإسرائيليَّة، فبانـدفاعٍ واضـحٍ، ردَّ قائلاً: إنَّ إسرائيل وجدت لتبقى، وكلُّ الحقائق والتَّطوُّرات تؤكِّد ذلك»(٨٠).

وقد بَذَلَ الغربُ وسيبذل كلَّ ما بوسعه لدعم وجود هذا الكيان وتقويته، ورفده بمختلف الإمكانات، لأنَّ وجوده هو الضَّامن الأوَّل والأكيد لمصالحه، والْمُنَفِّذُ المخلص لمخطَّطاته. ولإيمان كثيرٍ من الأمريكيين بهذه الحقيقة ممن هم «في مناصب رفيعة في الكونجرس والحكومة، وفي مواقع أُخْرَى، فإنَّهُم يُظهرون التزاماً عميقاً غير قابلٍ للجدل تجاه إسرائيل لأنَّهم

---

(٨٠) . انظر ذلك في مجلة **الكفاح العربي** . بيروت . العدد ٦٧٨ . ٢٩ تموز/ يزليو ١٩٩٢م . ص٢٠.

يعتقدون بأنَّ أيَّ شيءٍ تفعله إسرائيل هو أفضل شيء بالنسبة للولايات المتحدة»[٨١].

والمصالح الغربيَّة عموماً، والأمريكيَّة خاصَّةً، في الوطن العربي ليست بالقليلة ولا هي باليسيرة، وإنَّنا إذ نذكرها الآن، فإنَّما نذكِّر ولا نبتكر، وهذه المصالح يمكن إيجازها بكلمات قليلة هي: الحصول على المواد الخام والأوليَّة، وتأمين أسواق التَّصريف، وتعزيز مكانتها القياديَّة في العالم. والأكثر أهميَّة من ذلك هو بقاء المنطقة العربيَّة خاصَّة والعالم الإسلامي عامَّة في حالة من التوتر والضياع والانشغال عن التنمية والبناء. وعلى ضوء ذلك يمكن رسم معالم سياساتها في الوطن العربي، بالاعتماد بالدَّرجة الأولى على الكيان الصهيوني فيما يلي:

أولاً: السَّيطرة على بحور النِّفط العربي الذي يمثِّل المصدر الأوَّل والأكثر أهميَّةً للطاقة. وخير سبيلٍ لتحقيق هذه السَّيطرة وتدعيمها هو وجود خطرٍ وتهديدٍ يُخَيِّمُ فوق رأس الدُّول العربيَّة، ويجعلها في قلقٍ مستمرٍّ. ولذلك فإنَّ الوجود الصهيوني وحده ليس كافياً لتحقيق هذا الغرض، ووجود حالة تعايش سلميٍّ مع الدُّول العربيَّة، أيضا لا تؤتي أوكلها للغرب كما يحب ويشتهي، لأنَّ ذلك سيؤدِّي إلى فقدان واحد من أهمِّ الدَّوافع الَّتي تفرض على العرب إغداق نفطهم على الغرب طلباً لودِّهم، ولاستعطافهم.

---

(٨١) . **لقاء مع عضو الكونجرس الأمريكي السَّابق بول فندلي** . ضمن جريدة **الشرق الأوسط** . تاريخ ١٧ حزيران/ يونيو ١٩٨٣م. نقلاً عن محمد رشاد الشريف: **العلاقات ا لأمريكية الإسرائيلية** . ضمن مجلة **الوحدة** . العدد ٩٠ . آذار / مارس ١٩٩٢م . ص٥٦.

كما أنَّ هذا التعايش السلميَّ سيؤدِّي إلى صرف إمكانات الدُّول العربيَّة وطاقاتها، ولاسِيَّما دول المواجهة، المكرَّسة للتَّسلُّح خوف التهديد والاعتداء الصهيوني المستمرِّ، إلَى تنمية ا لاقتصاد، والجوانب الأُخْرى. الأمر الذي سيولِّد على نحوٍ أو آخر، عاجلاً أَو آجلاً دولاً متطوِّرةً قد تساهم إلى حدٍّ بعيدٍ في كفِّ يَدِ وصايةِ الغرب عن المنطقة، وهذا ما ليس يرضي صَلَفَ الهيمنة الغربيَّة وغرورها، ولذلك فهم بحاجة إلى تدعيم هذا الكيان الصهيوني وتدجيجه بمختلف صنوف الرِّيادة العسكريَّة والعلميَّة بحيث يظلُّ الأقوى، وهم بحاجة كذلك إلَى عدم الوصول إلى تعايش سلميٍّ، لتظلَّ هذه القوَّة تشكِّلُ خطراً وتهديداً للأمن العربي، ويظلُّ العرب بحالةٍ دائمةٍ من الرُّعب والقلق والتَّوتُّرِ.

ثانيـــاً: الحيلولة دون قيام الوحدة العربيَّة: إنَّ ما يعتقده الكثيرون جدًّا من أنَّ الصهيونيَّة والكيان الصهيوني، أعتى الأخطار على الوحدة العربيَّة، وأنَّ أكبر الأخطار الَّتي تهدِّدُ الكيانَ الصهيوني هي الوحدة العربيَّة، اعتقادٌ صحيحٌ لا لبس فيه، لولا أَنَّهُ يجعل من هذين الطَّرفين أسَّ الصِّراع ومتنه، ويغدو الغرب إذ ذاك محض داعمٍ للكيان الصهيوني وأحد الأطراف المستفيدة من استمراره.

وحقيقة الأمر خلاف ذلك تماماً، إذ إنَّ الصهيونيَّة، ومنذ بدايات نشوئها، كانت اليد والسَّند للدُّول الغربيَّة، ولاسِيَّما الأقوى منها، بنزوعها العدواني والاستعماري، وما الكيان الصهيوني إلا امتدادٌ أشدُّ خطراً من

الحركة الصهيونيَّة، ووجود الكيان الصهيوني في الأرض العربيَّة امتدادٌ لدعم المصالح الغربيَّة وعلى ضوء ذلك نفهم العداء المتأصِّل بين الكيان الصهيوني والوحدة العربية. فَصَحِيْحٌ أنَّ الوحدة العربيَّة تجسِّدُ تهديداً وخطراً على الكيان الصهيوني إلاَّ أنَّ خطر هذه الوحدة إنَّما هو على الغرب ذاته، لأنَّ هذه الوحدة ستؤدِّي على نحوٍ أو آخر إلى ضرب المصالح الغربيَّة في المنطقة العربيَّة من خلال قطعها دابر وجوده وهيمنته العسكريَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة الَّتي يستمدُّ منها نسغ وجوده وهيمنته العالميَّة، ومن أجل ذلك أوجد الغرب هذا الكيان ليكونَ حائلاً دون تحقيق الوحدة العربيَّة، لأنَّ هذه الوحدة ستجسِّدُ تهديداً له وخطراً عليه، ممَّا يفرض عليه أن يظلَّ متوثِّبا للحيلولة دون تحقيق هذه الوحدة، أي ليظلَّ تهديداً وخطراً عليها.

ثالثاً: الحيلولة دون أيِّ تقدُّم وازدهارٍ في البلدان العربيَّة، ولاسِيَّما على المستويين التَّقاني والاقتصادي، لأنَّ ذلك سيؤدِّي حكماً إلَى نتائج عديدة كلها تضرُّ بالمصالح الغربيَّة، ومن أكثرها أهميَّةً تصنيع المواد ا لأوليَّة محليًّا، وعدم تصديرها بأبخس الأثمان إلَى الدول الغربيَّة، والوصول إلَى الاكتفاء الذَّاتي الذي سيغلقُ السُّوق المحليَّة (على الأقل، ورُبَّما أسواق الدول المجاورة) أمام البضائع الغربيَّة. ورُبَّما يقود في نهاية المطاف إلَى وجود استراتيجيا عسكريَّة تقف أمام التهديدات المستمرَّة للعرب.

ولقد كان الكيان الصهيوني خير سبيلٍ وأفضل وسيلةٍ لتحقيق هذا الغرض، إمَّا على نحوٍ مباشرٍ كما حدث عام ١٩٨١م عندما

قـام طيـران الكيـان الصـهيوني بضـرب المفاعـل النَّـووي العراقـي، أو علـى نحـو غيـر مباشـر لأنَّ وجـوده سـيفرض علـى الـدول العربيَّـة، ولاسِـيَّما المجـاورة لـه، أن تصـرف جـلَّ الإمكانـات إلَـى شـراء الأسـلحة لمجابهـة هـذا العـدو المترصِّـد بأهدافـه التَّوسـعيَّة والعدوانيَّـة الدَّائمـة. وفـي حـين يـزوِّدون الكيـان الصـهيوني بـآخر مـا توصَّـلت إليـه فنـون العلـم والتقنيـة مـن طـرز الأسـلحة وصـنوفها، تظـلُّ هـذه الأسـلحة حلمـاً عنـد العـرب إلـى مـا قبـل تنسـيقها بقليـل. هـذا إلـى جانـب حقيقـةٍ جـدٍّ مهمَّـةٍ يجـب التَّوقُّـف عنـدها مليًّـا، وهـي أنَّنـا لـن نسـتطيع البتـة أن نجابهه عدوَّنا بأسلحة نستوردها منه.

تلكم هي السِّياسة الغربيَّة تجاه العرب والكيان الصهيوني، والتي لن تتغيَّـرَ إلاَّ بمعجـزةٍ مـن المعجـزات، فهـل ننتظـر المعجـزات فـي زمـن اللامعجزات حَتَّـى نـردَّ مـاء وجهنـا المراق ونصـون كرامتنـا المستباحة، أم نَتَحَـرَّكَ علـى ضـوء هـذه المعطيـات الواقعـة؛ جليَّـة الوضـوح؟ فـإن كـان الاحتمـال الأوَّل فإنَّنا سنصبر إلى ما شاء الصَّبر أن نصبر!! ورُبَّما لن تـائي المعجزة. وإن كـان الاحتمـال الثَّـاني فعلينـا أن نعيد حساباتنا، ونبدأ البناء من جديد.

رابعـاً: وآخِـراً ولـيس أخيـراً، تقـع فلسـطين الَّتـي سُـلِخَتْ مسـتقرًّا للكيـان الصـهيوني موقعـاً اسـتراتيجيًّا مهمًّـا يقـدِّم للغـرب فوائـد جلـى، فهـو يتوسَّـط الـوطن العربـي، ويقـع بـالقرب مـن واحـدٍ مـن أكثـر المعـابر المائيَّـة الدوليَّـة أهميَّـةً، ولـذلك فهـو يعـدُّ أحـد أكثـر القواعـد العسـكرية أهميَّـةً للـدول الغربيَّـة، الَّتـي يمكـن الاعتمـاد عليهـا فـي القيـام بـأيِّ

تحـرُّكٍ أو عمـلٍ عسـكريٍّ فـي المنطقـة كلمـا لـزم الأمـر، أو بالتهديـد المباشـر لكـلِّ الـدُّول المجـاورة والواقعـة ضـمن المـدى الاسـتراتيجي للأسلحة الَّتي أُتخم بها الكيان الصهيوني.

إنَّ هـذه العوامـل مجتمعـةً ومتفرِّقـةً، وغيرهـا، تجعـل اسـتمرار وجـود الكيان الصهيوني في المنطقة أمراً يصعب الاستغناء عنه للدول الغربيَّة، لأنَّ مصـالحها مرتبطـةٌ ارتباطـاً كليًّـا بوجـوده، وإذ ذاك لا تغـدو المسـألة مسألة وجود الكيان الصـهيوني أَو عدم وجوده، وإنَّمـا هـي مسألة تقويتـه ودعمه ورفده بمختلف ا لإمكانات والطاقات العلميَّة والتَّقانيَّة والماديَّة الَّتي تؤهِّله للقيام بواجبه على أكمل وجهٍ دائماً، ولا سيِّما من حيث ضرورةُ بقائه شوكةً في حلق المنطقة.

قلنـا الغـرب والـدُّول الغربيَّـة ولـم نخـص الولايـات المتحـدة الأمريكيَّـة لأنَّ لنـا فـي ذلـك مأربـا نـودُّ تبيانـه، وهـو أنَّ الكيـان الصـهيوني لـيس صـنيع الولايـات المتحـدة ولا هـو صـنيع بريطانيـا الَّتـي أوجدتـه، وإنَّمـا هـو صـنيع الغـرب الـذي مـا فتـئ منـذ مطلـع الانقسـام إِلَـى الغـرب والشَّـرق يكـنُّ للشَّـرق أعمـق مشـاعر الكـره والعـداء، ومـن ثَـمَّ فـإنَّ طـرح فلسـطين لتكـونَ موطنـاً لليهـود لـم يـأت اعتباطـاً ولا خـبط عشـواء، فقـد أُريـدَ مـن ذلـك خلـق قاعـدة دائمـة للغـرب فـي قلـب الأمَّـة العربيَّـة، والاهتمـام بهـذا الكيـان ودعمـه مسـؤوليَّة الدولـة الأقـوى، ولـذلك مـا إن انتهـى الـدور القيـادي البريطـاني حَتَّـى ارتمـت الصـهيونيَّة والكيـان الصـهيوني فـي أحضـان صـاحبة الجلالـة الولايـات المتحـدة ا لأمريكيَّـة. وتتبُّـع تـاريخ الحركـة

الصـهيونيَّة يُرينـا كيـف أن الأقـوى دائمـاً هـو الـذي يحتضـنها، لـيس حبًّا بها وإنَّما لخدمة مصالحه وتعزيز مواقعه.

والولايات المتحدة الآن أشدُّ حاجة للصهيونيَّة والكيان الصهيوني من أيِّ وقتٍ مضى، لأنَّها أصبحت شبه وحيدةٍ في ميدان المنافسة «وإسرائيل ـ كما تقرِّر لجنه العلاقات الأمريكيَّة الإسرائيليَّة ـ هي حجر الزَّاوية للمصالح الأمريكيَّة الحيويَّة في الشَّرق الأوسط، وهي في الأساس كيانٌ عسكريٌّ مهيَّأٌ للعمل الجادِّ في الإطار الأمريكي»[٨٢]، ولذلك لن تبخلَ الولايات المتَّحدة عن مدِّ يَدِ العون والدَّعم لهذا الكيان، ولن تفكِّرَ بالضَّغط عليه لإكراهه على ما يرضي العرب ويسرُّ خاطرهم على حساب مصالح الطَّرفين؛ الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، فهذا أمرٌ غير واردٍ في المفكرة الأمريكيَّة ولا متوقَّعٍ منها أبداً. وما مؤتمر السَّلام إلاَّ لعبة قادتها الولايات المتحدة لتحقيق غاياتٍ كثيرة منها أن تنتزع من العرب اعترافاً بالكيان الصهيوني بوصفه دولةً قائمةً لها الحقُّ في الوجود على الأرض العربيَّة ومحاسبتهم على أيِّ تقصير في حقِّ هذا الاعتراف أو أيِّ إساءة له. ثُمَّ وضع العرب أمام الخِيَارات الصَّعبة، والتَّنصُّل من تعهُّداتها والتزاماتها بتسوية الخلافات بطريقةٍ كانت لبقة ومؤدَّبة، وصارت فجَّة غليظة خالية من أيِّ ذوق أو أدب. وكانت تريد الظهور على أنَّها أدَّت الأمانة وأوصلت الرِّسالة، ولم تعد تبالي بقناعة أو اقتناع أحد اليوم.

إنَّ الولايات المتحدة، وبحجَّةِ عدم امتلاكها الحقَّ في إكراه أطراف مؤتمر السَّلام ولاسِيَّما الكيان الصهيوني، على تقديم أيِّ تنازلات، ستضعُ

---

(٨٢) . محمد رشاد الشريف– م. س– ذاته.

العربَ في مأزقٍ حرجٍ فعلاً؛ فإمَّا أن يظهروا أعداء للسلام!! أو أن يقدِّموا مزيداً من التَّنازلات. ذلك أنَّ التَّعنُّت الإسرائيلي، وإصراره على عدم تقديم أيِّ تنازلات، ومع عدم وجود ضغط وإلزام أمريكي أو دولي على هذا الكيان للقبول بقرارات الشَّرعيَّة الدُّوليَّة سَيُفْرَضُ على العرب أحد حلَّين، أحلاهما مرٌّ:

أولاً: الانسحاب عن المفاوضات، وبذلك نغدو نحن أصحاب الحقِّ أعداء للسلام، ويظهر الكيان الصهيوني، وهو الغاصب المعتدي، بمظهر المحبِّ للسَّلام، ورُبَّما يجرُّ ذلك إلى حملات عدوانيَّةٍ تَوَسُّعيَّةٍ جديدةٍ يقوم بها الكيان الصهيوني.

ثانياً: الرُّضوخ للتَّعنُّتِ الصهيوني والقبول بالسَّلام على طريقة **إسحاق شامير**، ومن جاء بعده مثل **نتنياهو وباراك وشارون**، والَّتي تقوم على مبدأ السَّلام مقابل السَّلام، ورفض مبدأ الأرض مقابل السَّلام، ومن ثَمَّ التَّنكُّر لقرارات الشَّرعيَّة الدوليَّة القاضية بانسحاب الكيان الصهيوني من الأراضي المحتلة إبان عدوان حزيران ١٩٦٧م وما بعده. وإذ ذاك سينقلب مؤتمر السَّلام إلى مؤتمر استسلام. وفي هذه الحال سيكون بقاء الواقع على ما كان عليه قبل المؤتمر خيرٌ وأفضل بكثير مما بعده.

سيدَّعي بعض (دهاتنا) أنَّنا سنكسب تأييد الرَّأي العام العالمي ونظر الكيان الصهيوني أمام العالم على حقيقته. وقد بدا بما يفقأ عين الجاحد أنَّ الادِّعاء ادِّعاء زائفٌ، واهمٌ. لأنَّه يقوم على افتراض جَهْلَ الغرب بحقيقة الكيان الصهيوني الذي اصطنعه هو، وأوجده ورسم له مناهج

سلوكه وخطط عمله، كما يفترض حياد الدُّول الغربيَّة من هذا الصراع، وهذا أيضا وهمٌ وزيفٌ، وقد بَيَّنا السَّبب في ذلك فيما قد سبق.

إنَّ الْخِيارين كلاهما مرٌّ لا حلو فيه البتة.

ولكن ماذا لو حدث الاحتمال الثَّالث وتمَّ والسلام؟ ولماذا لا يتمُّ السلام؟ وبماذا يضر ذلك الولايات المتحدة؟

رُبَّما مرَّت الإجابة عرضاً في سابق عرضنا، ولكن من المؤكِّد أَنَّهُ بات من السهل الوصول إِلَى الإجابة من دون كثير عناء.

أشرنا في بعض الفصول إِلَى أنَّ الافتراض النظري يقول إنَّ من مصلحة الشعب اليهودي المستوطن في فلسطين أن يقوم السلام كي يخرج من حالة التوتر والقلق الذي لم يخرج منه منذ تأسس الكيان الصهيوني، ورُبَّما زاد التوتر والقلق أضعافاً مضاعفة بعد الانتفاضة الثانية الَّتي اندلعت في أيلول من عام ٢٠٠٠م. وهذا يعني في الافتراض النَّظري أن من مصلحة إسرائيل بعدما انتزعت الاعتراف بوجودها أن تقيم السلام ولو بمزيد من التنازلات. فلماذا لا يقومون بذلك وكامل مصلحتهم فيه؟

الحقيقة أنَّ القرار ليس بيدهم على الإطلاق وإنَّما هو بأيدي الولايات المتحدة الأمريكيَّة لأنَّ الولايات المتحدة تنظر إِلَى الأمر على النحو التالي:

إذا تحقق السلام العربي الإسرائيلي وانعدم الصِّراع فإنَّ ذلك سيؤدِّي عاجلاً أو آجلاً إِلَى اندماج اليهود في المجتمع العربي، وزوال الخلافات العربيَّة العربيَّة رويداً رويداً لأنَّ الجذر الأساسي للخلافات العربيَّة العربيَّة

ناجم عن الصِّراع العربي الصِّهيوني ورُبَّما يوجد سبب آخر لهذا الخلاف. وهذا ما سيؤدي في لحظة رُبَّما تكون غير محسوبة ولا متوقعة إِلَى قيام دولة عربيَّة قويَّة أو أكثر تلتف حولها الدول العربيَّة الأُخْرى، ويبدأ الدور السِّياسي والاقتصادي العربي بالظُّهور، وهذا الظُّهور سيكون على حساب المصالح الأمريكيَّة بالضَّرورة، وهذا ما سيعني في محصلة الأمر الَّتي قَدْ تطول أو تقصر أن يحتل العالم العربي مكان الصَّدارة أو المنافس الذي سيؤدِّي إِلَى زوال المجد الأمريكي، ورُبَّما يصعب إغفال البعد الديني في طبيعة الصراع بين الحضارات.

هذا يعني أنَّ السَّلام العربي الإسرائيلي لم يخدم الولايات المتحدة على الإطلاق بل أدى إِلَى إلحاق الضرر الجسيم بها.

هنا صار من السَّهل أن نعرف لماذا بدأ التأسيس لمؤتمر السَّلام بحماس أمريكي منقطع النَّظير وراح يتراخى رويداً رويداً حَتَّى وصل الأمر الآن إِلَى حدِّ الاشتراك المباشر بالمجازر الَّتي تقيمها إسرائيل لشعبنا في فلسطين.

رُبَّما لم تتوقع الولايات المتحدة أن تسير عربة السلام على النحو الذي سارت عليه، ولذلك بدأت العملية السلمية بحماس، ولكِنَّها عندما رأت إقبال العرب المتهافت على إسرائيل حَتَّى قبل إنهاء مفاوضات السلام أعادت الحسابات ووجدت أنَّ السَّلام سيؤذيها ولن يفيدها، ولذلك راحت تعيد بناء اللعبة من جديد؛ كُلَّما قدَّم العرب تنازلاً قلبت إسرائيل طاولة المفاوضات وطالبت بتنازل جديد. ولكن بدا أنَّ معظم الحكام العرب مستعدون للسير في

طريق التنازلات إِلَى ما لا نهاية، هنا أسقط في يد الولايات المتحدة ولم تجد بدًّا من تصعيد التوتر الإسرائيلي العربي بحيث يصعب التفكير في هدوء بعد فكان الدعم الفاضح المخزي للمجازر الإسرائيليَّة الَّتي هزَّت ضمائر الميتة قبل الحيَّة.

أمريكا تريد أن تقول: لن يكون هناك سلام بَيْنَ العرب وإسرائيل، ولا يجوز أن يكون هذا السَّلام. وعليكم أَيُّهَا العرب أن تركعوا فَقَطْ إِلَى يوم يبعثون لأنَّ وقوفكم قَدْ يؤدي إِلَى مشكلات يصعب حلُّها.

* * *

الفَصْلُ السَّابع

الحـــــــرب
مـــن أجـــل
الســـــــلم

أظنُّ أنَّ مسألة قـوانين الجـودة وخعاييرهـا مسـألة يجب أن تطـرح كـلَّ سـاعة وكـلَّ دقيقـة، وتظـل تطرق الأذهان والأسماع حَتَّى تصبح واقعـاً متحققـاً في ممارستنا الاقتصادية في العالم العربي كله.

لَعَلَّ التطورات الأخيرة هي التي جعلتنا نستحضر آخر لقاء مع الإيبستمولوجي **كارل بوبر**، الذي أجرته الديرشبيچل لنجعله نقطة انطلاق، فقد صرح بأشياء جدٍّ خطيرة، تستحق وقفة تأمل لا لأنها تمس الواقع العربي، بل لأنَّها تمس الإنسانية جمعاء، وهي ما قد وجد صداه المباشر في آخر مؤتمرات الناتو. فماذا قال؟

رأى **بوبر** أن الإنسانية قد وصلت إلى مرحلة متطورة جداً من الرقي والتقدم وينبغي معها تحقيق الأمن والسلم العالميين، هذا كلام جميل حقاً. ولكن كيف يتم تحقيق هذا السلم؟

هنا في حقيقة الأمر يكمن جوهر المشكلة، إذ يسوغ هذا الفيلسوف الهَرِم سلوك كل الطرق الممكنة لتحقيق هذا السلم حتى ولو كانت الحرب. بل يرى ضرورة الحرب لتحقيق السلم، ويعني بذلك القضاء على أية قوة ناشئة، وتدمير أي دولة تفكر في امتلاك الأسلحة النووية أو الأسلحة القوية التي تهدد الأمن والسلم العالميين إذ يرى أن ثمة دولاً ليست مؤهلة البتة للحياة الحضارية المتطورة ومثل هذه الدول إذا امتلكت أي قوة عسكرية فإنها ستشكل خطراً على الأمن والسلم العالميين، والدول العربية منها، ودول العالم الثالث قاطبة، بل ثمة دول متطورة حضارياً وتقنياً لا

ينبغي لها أن تملك أسلحة (استراتيجية) أو نووية. ويعلن **كارل بوبر** صراحة أنه مع الهيمنة الأمريكية، وتفردها في قيادة العالم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، ومع تنصيبها شرطياً لحفظ الأمن والسلم العالميين، وذلك ببقائها وحدها ممتلكة للسلاح النووي وعوابر القارات... حتى تتمكن من القيام بهذا الدور.

صحيح أن الولايات المتحدة تسعى جاهدة لانتزاع مثل هذه الشهادة من أفواه الشعوب كلها، إلا أنها لم تنتظر هذه الشهادة لتسوغ لذاتها على عيون الأمم والشعوب أن تعزز ترسانتها النووية والحربية، وتنزع السلاح النووي من أيدي هذه الشعوب، بل وتقضي على كل المصانع الحربية في كل دول العالم، فعلى الرغم من كل معاهدات نزع السلاح والحد من التسلح التي عقدتها الولايات المتحدة الأمريكية مع غيرها من الدول يصرح المسؤولون الأمريكيون بشكل مستمر أن الولايات المتحدة لن تخفض إنتاج الأسلحة النووية، وليبقى نزع السلاح وحظره من نصيب الدول الأخرى وحدها.

فماذا يعني هذا الكلام الذي أدلى به بوبر؟

بادئ ذي بدء، لا شك في أننا مع السلام، ومع حفظ المن ولا شك في أننا نشرئب بكل مشاعرنا إلى حياة مستقرة، هانئة، خالية من كل ما يكدر صفوها أو يعكر نقاءها ولا شك في أن هذا ما تتطلع إليه الإنسانية جمعاء، ولكن هذا السلام ينبغي أن يكون عادلاً شاملاً، لا جائراً مائلاً، وما أراده **كارل بوبر** فيه الكثير من المغالطة وتزييف الوعي.

لن نفترض حسن أو سوء النية في كلام هذا المفكر العجوز . وإن كان متطرفاً في آرائه ومواقفه من العرب . ولن نفترض أن ما قاله تخريفات هرم، بل سنأخذه على حقيقته المنطلقة من أرضية فكرية واقعية، يعيشها الغرب عموماً، الغرب الذي وصل إلى أوج تقدمه العلمي والثقافي والحضاري، وأراد أن يعيش حياة مستقرة هانئة، بعيدة عن الحرب والكوارث، ولا سيما بعد انتهاء الصراع بين قطبي العالم، الذي كان يخيم برعبه على الجميع.

ولكن هذه الحياة لن تتم إلا على حساب الآخرين، وإن كانوا لا يفهمون المر بهذه الصورة، وإنما يفهمونها على انهم في أعلى درجات سلم الرقي والتطور، وهم لذلك مؤهلين للتفكير المنطقي السليم، أما بقية الشعوب التي يعيش معظمها في الحضيض . بفعل الاستعمار والحصار الغربي . فهي شعوب همجية، بدائية متوحشة، وهي لذلك غير قادرة على كبح جماع رغباتها وأهوائها، وغير مؤهلة للحياة المتطورة والراقية، ومن ثم فإن امتلاكها أسلحة قوية سينمي لديها الروح العدوانية ويثير وحشيتها وهمجيتها، وهذا ما يهدد الأمن والسلم العالميين.

لا شك في أن في هذا الاعتقاد جور وحيف كبيرين بحق كل الشعوب، ولا سيما الشعوب المقهورة المستلبة، لأنه يقوم على أسس واهيةٍ ليس فيها من العدل شيء، وليست النزاهة من أغراضه البتة، ذلك أن السلام على هذه الطريقة سلام أمريكي، أو غربي لا سلام إنساني، لأن الغربي هو الذي سيعيش بأمن وسلام،

وكأنه هو الإنسان الأنموذج، الأمثل، الذي يستحق الحياة، وبقية الشعوب غير مأسوف على موتها لأنها لا حق لها في الحياة، وإن عاشت فينبغي أن تعيش على هامش الهامش، محرومة من كل شيء حتى من العزة والكرامة، وهذه حقيقة واضحة جلية لدى غالبية المثقفين في العالم كله، وقد أوردت مجلة (دير شبيغل) ذاتها في عدد سابق ما يعزز هذا المعنى ويؤكده، وذلك في لقاء مع **فرانس بوشار** رئيس المجلس النيابي في سلوفينيا، إذ يجيب عن سبب دعم الغرب للجيش الصربي للاعتداء على السلوفانيين قائلاً: «لأنهم يريدون الحفاظ على السلام (سلامهم)، وضمان مستوى المعيشة المرتفع في بلادهم بأي ثمن، أنهم أنانيون وانتهازيون».

وبهذا المعنى يتضح ما ذهب إليه **كارل بوبر** من ضرورة اللجوء إلى الحرب حفاظاً على السلم، وضرورة احتفاظ الولايات المتحدة الأمريكية بترسانتها النووية والعسكرية كيما تتمكن من القيام بهذا الدور. ولقد كرست الولايات المتحدة جهوداً كبيرة لتظهر على أعين العالم على أنها الشرطي الأمين لحفظ الأمن والسلام العالميين ولذلك اندفع الكثيرون بتأثير الدعاوى التي تروجها الولايات المتحدة إلى إسباغ الشرعية على فرض الهيمنة الأمريكية، وبقائها وحدها سيدة العالم، تصول وتجول كما يحلو لها باسم الشرعية الدولية، وحفظ الأمن والسلام العالميين هذين اللذين لا يتعدى نعيمها الغربي عموماً، والأمريكي خصوصاً.

قد يعتقد بعض أننا نميل إلى انتشار الأسلحة النووية، ونشجع الحروب، والحق أن هذا بطل، فلسنا نميل إلى مثل ذلك البتة، ولكن أن نعيش فئة في يدها كل عناصر القوة والبطش، ويعيش غيرها مجرداً من كل مقومات الدفاع عن النفس، لا حول له ولا قوة، في الوقت الذي ينهش فيه القوي الضعيف، ويعيش عالة عليه، يحرمه الضروريات ليؤمن لذاته الكماليات، ليس فيه من العدل شيء، بل فيه غاية الإذلال والإهانة لهذه الشعوب.

والمتتبعون للأحداث والأخبار يدركون هذه الحقيقة الناصعة، إن الغرب يريد أن يجعل من شعوب العالم خدماً وعبيداً، يسهرون على راحته وهناءته، يقدمون ما يحتاجه ويلزمه، وفي مثل ذلك قالت صحيفة (أوغلوبور . الدنيا) البرازيلية: «إن خطة الرئيس **بوش** لنصف الكرة الغربي تقضي بإعادة تنظيم عسكرية شاملة تصل إلى حد التمييز العنصري التقاني (التكنولوجي) وتحويل الصناعات الحربية البرازيلية بكل ما أحرزته من تقدم تقاني في العقدين الأخيرين إلى مصانع تجميع رخيصة لمنتوجات مثل أحذية الجنود، تلزم أمريكا».

إن هذا الكلام . كلام **بوير** . على ظاهر حلاوته وطلاوته لا يعدو كونه صورة من صور التفكير التعصبي الأعمى الذي ينطلق من زاوية رؤية واحدة، حادة، تتفق مع رؤية **نيتشه** في قتل المرضى والعجزة والمشوهين... كيما يحيا الإنسان الكامل حياة هادئة هانئة، ولينبثق الإنسان الخارق . الفائق من بين هؤلاء الناس

الكـاملين، وتكـون لـه الأولويـة فـي كـل شـيء... إن الغـرب بهـذا المنظـار هـو الإنسـان الخـارق . الفـائق، وبقيـة الشـعوب هـم المرضـى والعجزة والمشوهون...

إن ما قاله **كارل بوبر** وما يسعى الناتو إليه كلمة حق أريد بها باطلاً، لأنها لم تأت عفو الخاطر، ولا أريد منها نقاء مضمونها، وإنما هي تتويج نظري لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية وأهدافها التي تصبو منذ زمن طويل إلى التفرد في زعامة العالم، سالخة لذلك عزيز جهودها وطائل أموالها، وقد تجلى ذلك على مختلف الصعد والمستويات وكما قال **أيف أود** «المبدأ العام الذي ينبني عليه عمل الحكومة الأمريكية كله في هذا المجال بسيط جداً، ومكوّن منذ وقت طويل ومعرض أقل فاقل للانتقاد داخل الجهاز السياسي الأمريكي، إنه يستند على حقيقة مزدوجة فمن جهة حرصت الولايات المتحدة، في مشروعها لزعامة العالم، أن تؤثر في (بيئتها العالمية)، بشكل كامل متنوع تماماً بقدر الإمكان، ومن جهة أخرى، فمنذ عدة عقود من السنين، اكتسبت النزاعات العالمية الكبرى بعداً عقائدياً متزايداً باستمرار . فعلى الولايات المتحدة، لكي نتدخل بطريقة شاملة ومتماسكة، أن تشترك إذن في خضم هذا (التنافس على عقل البشر)... . ذلك أنها . لن تستطيع أبداً أن تكون الزعيم الذي لا ينازع إذا لم تتمكن من (غزو عقول البشر)».

وانطلاقاً من هذه الحقائق، وبالاستناد إليها، فإن الولايات المتحدة الأمريكية كما قال **سمير أمين** «تملك تصوراً عالمياً لهيمنتها الشاملة، الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وهي . لذلك . القوة الوحيدة التي نظمت

قياداتها العسكرية على الصعيد العالمي» بما يحقق لها أغراضها ومطامعها، ويمكنها من التدخل السريع في أي زمان ومكان لحسم أية مشكلة قد تعترضها، أو تقلق راحتها.

ومع انحلال الاتحاد السوفيتي وانهياره لاح للأمريكيين أن مشروعهم في توحيد العالم تحت رايتهم وأفكارهم وأساليبهم، وبقيادة عصاهم، قد غدا أمراً قريب المنال، وتجلى النظام العالمي الجديد بكل ما يحمله من دلالات ومعاني العدل والمساواة والإخاء والتعاون والأمن والسلام... هذه الدلالات والمعاني التي لم تفهم إلا من جانب واحد فقط هو الجانب الأمريكي خصوصاً، والغربي عموماً، ولقد تجلى هذا الفهم الأحادي الجانب للسلام العالمي إذ «قررت الولايات المتحدة الأمريكية تدشين المرحلة الجديدة عن طريق الحرب لإظهار:

أن العولمة الأمريكية ستفرض على شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بالعنف، وبالعنف وحده، مع التهديد بالإبادة الجماعية في نهاية المطاف. وأن أوروبا واليابان، هشتان ومتوقفتان ومرتهنتان للقوات الأمريكية في نهاية التحليل، وهذا ما يفصح عنه المفكرون الأوروبيون بين الحين والآخر، وكان آخرهم منذ أيام **تييرنس تيللور** المدير الحالي للمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن إذ قال: إن أمريكا لن تسمح لأوربا بمنافستها، وأوربا لا تفكر أصلاً بمنافسة الولايات المتحدة.

وبذلك يتضح بشكل جلي معنى "الحرب من أجل السلم"؛ الشعار الذي أطلقه **كارل بوبر** والذي لا يفترق كثيراً عن الفهم

الأمريكي له، بل الذي أعلنته إدارة الرئيس **جورج بوش الابن** بصيغة فجَّة تخلو من المعاني النبيلة هي ما أطلق عليها الحرب الاستباقية... ويبدو جلياً أن احتفاظ الولايات المتحدة الأمريكية بترسانتها النووية وكامل آلتها الحربية، وتفردها في قيادة العالم، ليس لحفظ الأمن والسلم العالميين، وإنما لحفظ الأمن والسلم الأمريكيين، ولاستمرارها في نهب ثروات وخيرات الشعوب المقهورة، المغلوبة على أمرها، وحماية الحلفاء الغربيين من الأخطار التي تهددهم، ولا سيما الخطر القادم من الجنوب... من الآسيويين والأفريقيين الذي راحت تبلوره الولايات المتحدة الأمريكية، وتجعل منه (فزاعة) أو (بعبعاً) جديداً، يحل محل الاتحاد السوفيتي المنهار، لتسوغ بذلك استمرار هيمنتها ونفوذها على العالم الغربي أيضاً.

أخيراً: وأمام هذا الواقع الأليم الذي يتغير إلى الأسوأ . بالنسبة لنا . بوتائر متسارعة، يغدو من الواجب علينا أن نصحو بعدما طالت غفوتنا، وأن نقف أمام ضمائرنا وقفة حق، واضعين أصابعنا على الجرح الذي يؤلمنا، ونتحسسه بشكل جيد كيما نحسن علاجه بحسن اختيار الدواء الناجع، ولنعرف بعد ذلك موقفنا من هذا العالم الذي نعيش فيه... هل نحن غرباء أم شركاء؟ دخلاء أم أصلاء؟... فقراء أم أغنياء؟... ضعفاء أم أقوياء؟... قاصرون أم قادرون؟... وعند الإجابة عن هذه الأسئلة إجابة صحيحة دقيقة، نستطيع أن نتبين موقعنا في هذا العالم، وإذ ذلك إما أن نسلم أمرنا

إلى غيرنا، راضين بانقيادنا لهم، منفذين ما شاؤوا من الحكام والأوامر والتعليمات... أو أن نقف وقفة عزٍّ وكرامة، فارضين احترامنا على الآخرين، مشاركين مشاركة حقيقية في وضع أسس النظام العالمي الجديد، غير مهمشين ولا مرميين على (مزبلة) التاريخ.

إنَّ العالمين؛ العربي والإسلامي يمتلكان طاقات وقدرات وموارد هائلة تجعلهما يقفان في طليعة بلدان العالم أهمية غير منازعين في ذلك وإن لم ندرك هذه الحقيقة ونتداركها بالتدابير اللازمة في أسرع وقت، وقبل فوات الأوان، فسنكون أول أمة في التاريخ تفضل الذلة على العزة، والضعف على القوة، والخضوع على السيادة والانقياد على القيادة، على الرغم من توافر كل الإمكانات اللازمة والضرورية لذلك...

* * *

* * *

خاتمة

أمـــــــريكا على طـــريق الهـــاويـــة

ولكنَّ السُّؤالَ الأكثر أهميَّةً هو: كم سيستمرُّ لفظ الأنفاس الأخيرة هذا؟ ورُبَّما يترافق معه التساؤل عن الكيفية الَّتي سيتمُّ بها السقوط في هذه الهاوية.

بعيداً عن الرَّغبات، وبعيداً عن الأماني، وبعيداً عن الرؤى الأيديولوجية الموتورة، وبغضِّ النَّظر عن أنَّ التنبؤات لا تنفصل عن الرغبات والأماني لا يمكن إلا القول إنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تسير إلى الهاوية شاءت أم أبت، وما الصولات والجولات الَّتي تبرز عنجهيتها من خلالها إلا تخبطات من ينازع لافظاً أنفاسه الأخيرة.

ولكنَّ السُّؤالَ الأكثر أهميَّةً هو: كم سيستمرُّ لفظ الأنفاس الأخيرة هذا؟ ورُبَّما يترافق معه التساؤل عن الكيفية الَّتي سيتمُّ بها السقوط في هذه الهاوية.

لتبيان ذلك نحن، في حقيقة الأمر، أمام مجموعة من النقاط الَّتي تفتح لنا آفاق الرؤية والاستنتاج.

إذا استحضرنا نظرية **ابن خلدون** في عمر الدولة، وقرنا ذلك بالجدلية الهيچليَّة الَّتي تتضمن حكمة باتت بحكم البداهة في الفكر والحياة وهي أن كلَّ شيء يحمل نقيضه في ذاته، وبمعنى آخر: كلَّ شيء يحمل بذور فنائه في ذاته، نجد أنَّ الولايات المتحدة لا يمكن منطقيًّا أن تستمرَّ إلى الأبد سيدة على العالم تفرض إرادتها على الجميع من غيرما رادع، ولا

بدَّ لها من أن تتقهقر لتحلَّ محلها أمة أُخْرَى سيان أكان ذلك قريباً أم بعيداً. الشيء المؤكد تماماً هو أنَّ هذا الشعب لن يظلَّ مهيمناً على العالم إلى الأبد.

لَقَد تلقفت الولايات المتحدة هذه البداهة ووعتها جيداً ودرستها من مختلف جوانبها وأبعادها، وأنفقت على ذلك مئات بل آلاف المليارات من الدولارات، حَتَّى تستفيد من أخطاء الأمم السابقة الأُخْرى وتجاربها ولا تقع فيما وقعت فيه من سقوط وانهيار. وهذا حق لها وواجب أيضاً فإن الأمة الَّتي تستطيع الاستفادة من دروس التاريخ ولا تفعل ذلك لن تكون جديرة بالعيش أو بالعيش الكريم على الأقل، والولايات المتحدة إذ تفعل ذلك فإنَّها تقوم بواجبها تجاه ذاتها وتاريخها وأبنائها لأنَّهُ من العار عليها أن تقصر في سلوك ما أمكن من السبل لإطالة عمرها الذهبي حَتَّى ولو كان ذلك على حساب الآخرين، بل لا يمكن أن يكون ذلك إلا على حساب الآخرين.

وقد وصلت من خلال هذه الدراسات إلى سبل تحقق لها ديمومة سيادتها وهي سبل كثيرة منتشرة في كل الميادين؛ تغطية سقوف العالم كله بالأقمار الاصطناعية، وإحاطته بالمظلة الصاروخية الهجومية والدفاعية، والسيطرة على حركة النقل العالمية بالأقمار الاصطناعية الأمريكية، والتحكم بأرزاق العالم بيعاً وشراءً من خلال منظمة التجارة العالمية، ورُبَّما تتوج ذَلكَ لاحقاً بما سمي الحكومة العالمية الواحدة الَّتي ستدير شؤون العالم كله في مختلف الأصعدة والمستويات، وتدير الولاياتُ المتحدةُ هذه الحكومةَ العالمية، وهذا ما سيسمح لهم، باعترافهم أيضاً، بتغيير الأوضاع

والحكومات والمؤسسات في أي مكان من العالم بما يتوافق مع مصالحهم ومخططاتهم.

ولكن الخطأ الذي وقعت فيه الولايات المتحدة، في هذا الإطار، هو أنَّها ظنت أنَّها استفادت فعلاً من أخطاء الأمم السابقة وتجاربها، وصدَّقت من ثَمَّ أنَّها ستظلُّ فعلاً هي سيدة العالم إلى الأبد، وراحت تتصرف على أساس أن التاريخ قَدْ انتهى على أعتاب الولايات المتحدة وأَنَّهُ لا تاريخ بعد تاريخها، ولا إرادة بعد إرادتها، وأن كل ما سيأتي من الأزمان والدهور سيكون تحت العباءة الأمريكية الَّتي ستظلُّ تُظلُّ العالم.

وفي خضم هذه الممارسة الفرعونية الَّتي لا تجد ندًّا ولا منافساً ولا رادعاً نسيت الحقيقة العقلية الَّتي هي أكبر من كلِّ تجارب الأمم وحساباتها وهي أَنَّهُ مهما فعلت الولايات المتحدة أو أي أمة أُخْرَى من أجل مدِّ عمرها أكثر فإنَّها لن تستطيع الحيلولة دون وصولها يوماً إلى النهاية.

هنا ينهضُ ثانية سؤالنا الآنف: متى ستكون هذه النهاية؟

على الرَّغْمِ من أننا نعرف أن العمر الوسطي للإنسان ستون عاماً مثلاً إلا أننا لا نستطيع البت أبداً في اليوم أو السنة أو حَتَّى العقد الذي سيموت فيه إنسان بعينه. فكيف بنا إذا كنا أمام نهاية أمة أو دولة وعمر هذه الأمة أو الدولة أجيال لا جيل واحد؟!

قَدْ تنشأ عن هذه المقايسة بعض الاعتراضات، وهي صحيحة، ومأخوذة بعين النظر والحسبان أيضاً، كأَنَّ يكون الإنسان المحدد مريضاً بمرض معين يؤكد توقع موته في تاريخ محدد، أو أن يكون هذا الإنسان قَدْ بلغ من العمر سنًّا محددة تتيح لنا احتمالية كبيرة في دقة توقع موته،

أَو غير ذلك. ولكن هذه الاحتمالات كلها لا تقدم ولا تؤخر كثيراً في دقة توقع تاريخ موت هذا الإنسان، أو انهيار الأمة أو الدولة ولا سيَّما أنَّ الحالات الخاصة الَّتي تصيب الإنسان الفرد غير قابلة للتعميم على الدولة أو الأمة بهذا التيسير أو السذاجة ولذلك فإن الحديث في أعمار الحضارات وإن تشابه مع الحديث عن أعمار الأفراد في أساسه فإنَّهُ مغاير له في تفاصيله، ولذلك نشأ مبحث خاص بالحضارات هو فلسفة الحضارة، ورُبَّما علم الحضارة، وكتبت الكثير الكثير من الأبحاث في ذلك، وكثير من هذه الأبحاث خصت بنهاية الحضارة الأمريكية، أو نهاية الإمبراطورية الأمريكية لَعَلَّ أولها ما كتبه **بول كينيدي** في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين معلناً أن بداية نهاية الإمبراطورية الأمريكية قَدْ بدأت، ويبرهن ذلك من خلال دراسة مقارنة مع بعض الحضارات السابقة، ويتوقع في هذه الدراسة أن هذه النهاية قَدْ بدأت فعلاً، ولكِنَّها حَتَّى تأخذ أبعادها الحقيقية ستحتاجُ إلى بعض الوقت، وسيتراوح هذا الوقت ما بين عشرين وأربعين سنة.

لعلنا لا نبتعد عن صلب موضوعنا إذا قلنا إنَّ هذا التنبؤ الذي قدمه **كينيدي** هو الذي دفع الولايات المتحدة طرح شعار: الولايات المتحدة إلى الأبد. والبحث من ثُمَّ عن كل ما أمكن من السبل والوسائل لتحقيق هذا الشعار. وكل ما حدث بالإرادة الأمريكية بعد هذا التاريخ من أحداث وتطورات إنَّما كان على طريق تحقيق أبدية الولايات المتحدة. والحقُّ أنَّ هذا الشعار، في ظني، شعار استهلاكي أكثر من كونه واقعيًّا أو تطبيقاً يريد فعلاً ما يهدف إليه، لأنَّ من أدرك كلَّ هذه الحقائق لن يكون عاجزاً

عن إدراك مسلمة نهاية الإمبراطورية الأمريكية عاجلاً أو آجلاً. والمقصود باستهلاكية هذا الشعار هو حقن الأمم الأُخْرى بمخدر يطيل أمد استسلامها وإذعانها لفكرة أبدية الهيمنة الأمريكية، ويطيل من ثَمَّ عمر الهيمنة الأمريكية إلى أقصى ما يمكن.

بهذا المعنى يمكن القول إن الولايات المتحدة تدرك أنَّها تعيش على المخدرات الموضعية حقن الإنعاش المؤقتة المتمثلة بالاستعراضات العسكرية في أماكن مختلفة من العالم، وبإذلال الشعوب إلى الدرجة الَّتي لا تطاق، وبالقضاء على أيِّ قوة ناشئة يحتمل أن تمثل تهديداً للنفوذ الأمريكي ولو بعد زمن طويل. وما حملة مكافحة الإرهاب إلا التطبيق العملي الواضح لذلك.

لَقَد نسيت الولايات المتحدة هنا ثانية أنَّ هذه الممارسات بحد ذاتها ستعجل في نهايتها لا العكس الذي تصبو إليه. وحَتَّى لو افترضنا عدم وجود هذه الممارسات فإن العمر الافتراضي للولايات المتحدة قَدْ انتهى نظرياً، وقد استطاعت من خلال حرب الخليج الثانية الآن أن تمتصَّ كثيراً عجوزاتها المالية، وركودها الاقتصادي النسبي، وأن تطيل عمرها سنوات، ولكن هذا الامتصاص ليس إلا تخديراً موضعيًّا كما أشرنا، وحقن إنعاش مؤقتة، لأنَّ الواقع الأمريكي؛ علميًّا، وتقانيًّا، واقتصاديًّا، وسكانيًّا... يقول إن الساعة قَدْ أزفت، على الرَّغْمِ من أن ظاهر هذه الأحوال قَدْ يقول عكس ذلك.

تنبأ **أرنولد توينبي** في السبعينات، بناءً على المعطيات المتاحة، أن يكون العرب أمة واحدة وقوية قبل نهاية القرن العشرين، وقد استفاد

الغربيون من هذه النبوءة وعالجوها فأخروا هذه النبوءة أجلاً غير مسمى. وستستفيد الولايات المتحدة من هذه النبوءات والدراسات وتؤجل تحققها ردحاً من الزمن، فإن كان السنوات المتوقعة على النهاية عشرين فإن الولايات المتحدة قَدْ تستطيع جعلها ثلاثين أو أكثر بقليل، ولكِنَّها لن تزيد عن ذلك كثيراً.

المشكلة الحقيقية الَّتي تعترض هذه النهاية المحتومة هي وجود البديل الذي سيحل محل الولايات المتحدة، فطالما أنَّ هذا البديل غير موجود فإن الهيمنة الأمريكية ستظل قائمة، وهذا ما تلعب الولايات المتحدة على وتره... فهل سيظل هذا الوتر قابلاً للعزف عليه؟؟!!

* * *

ثبت المراجع

١. أحمدجبريل: **بعد ٤٤ سنه من التضحيات...** . ضمن مجلة **إلى الأمام**– دمشق . العدد ٢١٣٢ . تاريخ ٣/ ٤/ ١٩٩٢م.

٢. ايرهارد راين في ندوة: **العرب وأوربا عام ١٩٩٢م**، الَّتي عقدها مركز الدراسات العربية بالقاهرة من ٢ . ٥ نيسان/ أبريل ١٩٨٩م.

٣. بهاء لطفي قابيل: **العنف السياسي عربيًّا ودوليًّا** . ضمن مجلة **الوحدة** . العدد ٩١ . نيسان/ أبريل ١٩٩٢م.

٤. جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٥٨٧ . تاريخ ٣٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢م.

٥. جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٧٤٥ تاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٩٢م.

٦. جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٧٧٣ تاريخ ١٨/ شباط/فبراير ١٩٩٢م.

٧. جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٧٧٨ . تاريخ ٢٤ شباط/ فبراير ١٩٩٢م.

٨. جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٨٢٨ . تاريخ ٢٩ نيسان/أبريل ١٩٩٢م.

٩. جريدة **البعث: سنة العدِّ التنازلي الأُوروبِيَّة تبدأ** . ضمن جريدة **البعث** . دمشق . عدد ١٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢م.

١٠. حسان بو قنطار: **حول بعض حالات العدوان على الوطن العربي** . ضمن مجلة **الوحدة** . المغرب . العدد ٦٧ . نيسان/أبريل ١٩٩٠م.

١١. حنان محمد: **فتور العلاقات الأمرِيكيَّة . البريطانية...** . جريدة **تشرين** . دمشق . العدد ٤٦٦٥ . تاريخ ١٠ كانون الثاني/ يناير . ١٩٩٠م.

١٢. خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش الذي ألقاه في ١٥ آب/ أغسطس ١٩٩٠م أمام موظفي البنتاجون.

١٣. خطاب الرئيس الأمريكي **جورج بوش** في الثالث عشر من شهر كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢م في مدينة كنساس الأمرِيكيَّة. انظر ذلك في: جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٧٤٥ تاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٩٢م.

١٤. خطاب رئيس الوزراء البريطاني **جون ميجر** في الثامن والعشرين من شهر نيسان/ أبريل . ١٩٩٢م . ضمن جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٨٢٨ . تاريخ ٢٩ نيسان/أبريل ١٩٩٢م.

١٥. خطاب وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر في ٤ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٩٠ أمام لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب الأمريكي.

١٦. رمزي زكي: **هل انتهت قيادة أمريكا للمنظومة الرَّأسماليَّة العَالميَّة؟** . ضمن مجلة: **المستقبل العربي** . بيروت . العدد ١٣٨/ ٨ . ١٩٩٠م.

١٧. سمير أمين: **النزعة العسكريَّة الأمرِيكيَّة في النظام الدولي الجديد** . ضمن مجلة **الوحدة** . العدد ٩٠ . آذار/ مارس . ١٩٩٢م.

١٨. سمير كرم: **الحرب الباردة الثانية؛ أمريكا ضد اليابان** . ضمن مجلة **الكفاح ا لعربي** . بيروت . العدد ٧٠١ . ٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢م.

١٩. سمير كرم: **الصدام مع ليبيا، لكن الهدف... أوربا** . ضمن مجلة **الكفاح العربي** . بيروت . العدد ٧٢٠ . ٨ أيار/ مايو ١٩٩٢م.

٢٠. سمير كرم: **القلق الأمريكي ا لأكبر؛ الأسلحة النووية في الجمهوريات المسلمة** . ضمن مجلة **الكفاح العربي** . بيروت . العدد ٦٨٢ . تاريخ ٩ أيلول/ سبتمبر ١٩٩١م.

٢١. عفيف ضاهر: **التكنولوجيا العربية العاجزة بين التبعية للخارج والتقصير في الداخل** . ضمن مجلة **الوحدة** . العدد ٥٥ . نيسان/ أبريل ١٩٨٩م.

٢٢. علي عقله عرسان: **زيارة بيكر والاستراتيجيا الأمر بكية ا لإسرائيلية المقبلة** . ضمن جريدة **الأسبوع الأدبي** . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . العدد (٣٢١) . ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٩٢م.

٢٣. غسان كنج: **تعاون أمريكي تركي لإحباط قيام الهلال الإسلامي النووي** . ضمن مجلة **الكفاح العربي** . بيروت . ا لعدد ٧٢٠ . تاريخ ١٨ أيَّار/ مايو ١٩٩٢م.

٢٤. غسان كنج: **حرب اقتصادية بثروات البلدان النامية** . ضمن مجلة **الكفاح العربي .** بيروت . العدد ٦٧٨ . تاريخ ٢٩ تموز/ يوليو ١٩٩١م.

٢٥. غسان كنج: **هل تستطيع اليابان أن تقول لا؟** . ضمن مجلة **الكفاح العربي** . بيروت . العدد ٧٠٥ . ٣ شباط/ فبرا ير . ١٩٩٢م.

٢٦. **الكفاح العربي** . بيروت . العدد ٦٧٠ . تاريخ ٣ حزيران/ يونيو ١٩٩١م . ص٢٤.

٢٧. **الكفاح العربي** . بيروت . العدد ٦٧٨ . ٢٩ تموز/ يزليو ١٩٩٢م.

٢٨. **لقاء مع عضو الكونجرس الأمريكي السَّابق بول فندلي** . ضمن جريدة **الشرق الأوسط** . تاريخ ١٧ حزيران/ يونيو ١٩٨٣م. منقول عن محمد رشاد الشريف (مرجع مذكور).

٢٩. لوي جيل: **الكنديون: الرعايا الجدد الصَّاحبة الجلالة الليبرالية** . ضمن مجلة **لوموند ديبلوماتيك** . شباط/ فبراير . ١٩٨٩م.

٣٠. مجلة العربي: **الشخصية العربية في الأفلام الأمريكية** . مجلة **العربي** . الكويت . العدد ٣٥٣ . نيسان/ أبريل ١٩٨٨م . ص١١٠.

٣١. محمد الأطرش: **أزمة الخليج؛ جذورها والسِّياسة الأمريكيَّة تجاهها** . ضمن مجلة **المستقبل العربي** . بيروت . العدد ١٥٥/ ١ . ١٩٩٢م.

٣٢. محمد رشاد الشريف: **العلاقات ا لأمريكية الإسرائيلية** . ضمن مجلة **الوحدة** . العدد ٩٠ . آذار / مارس ١٩٩٢م.

٣٣. مختار مطيع: **النظام الدولي الجديد وتهديدات أمن الجماهيريَّة الليبية** . ضمن مجلة الوحدة . العدد ٩١ . نيسان/ ابريل . ١٩٩٢م.

٣٤. مختار مطيع: **محاولة في تفسير طبيعة النظام الدولي الجديد وموقع العرب منه** . ضمن مجلة **الوحدة** . العدد ٩٠ . آذار/ مارس . ١٩٩٢م.

٣٥. ممدوح ا لأوس: **نحو دور أوربي أكثر فاعلية في السِّياسَة الدولية** . ضمن جريدة **البعث** . دمشق . العدد ٨٧٧٣ . تاريخ ١٨ شباط/ فبراير ١٩٩٢م.

36. Michael T. Klare: **Behind Desert Storm; The New Military Paradigm**. Technology Review. May– Jun. 1991.

37. Thomas L. Friedman and Patrick E. Tyler: **Road to the Gulf; Timetable for War was Fixed October**. International Herald Tribune. 4 – 3 – 1991.

* * *

قائمة اصطلاحات

تقانة: ما زال كثير من الباحثين العرب يستخدمون هذا الاصطلاح كما هو بلفظته الأجنبيَّة (Technology) على الرَّغْمِ من أنَّ ثَمَّةَ اتفاقاً أو شبه إجماع على تعريبه إِلَى (تقانة)، ونقول: تقاني، وتقانياً... ولذلك اقتضى التنويه.

جغراسيا: لم يترجم أحد لفظ (Geopolitics) . فيما أعلم . وإنَّما استخدمت في الترجمات العربية اللفظة الأجنبية ذاتها (جيوبوليتيكا)، وقد اكتفى بعضهم بتعريب نصفها الأول فَقَطْ فقال (جغرابوليتيكا). ولقد آثرنا أن نعرِّب هذا المصطلح إِلَى (جغراسيا)، ناحتين إياه من جغرافيا وسياسة، كما في الاصطلاح الأجنبي ذاته المنحوت من هاتين اللفظتين. ولقد آثرنا أيضاً أن نأخذ النصف الأول من اللفظتين لأنَّ ذلك أقرب إِلَى جو المصطلح وإيقاعه، وإن كان الشائع في النحت أن يؤخذ النصف الأوَّل من الأوَّل والنصف الثاني من الثاني، لأن التركيبة النحتية هنا (جغراسة) تبدو نابية عن الذوق اللغوي المألوف لدينا.

جغراتيجيا: كذلك شأن الاصطلاح (Geostrategy) لم يعرَّب فيما أعلم أيضاً، وقد آثرنا تعريبه إِلَى (جغراتيجيا) نحتاً من جغرافيا واستراتيجيا، وإن كانت استراتيجيا في الأصل غبر عربية، ولكن دَرَجَ الباحثون على استخدامها كما من دون تعريب.

عقائدية: يستخدم الباحث كلمة عقائدية ترجمة لكلمة (Ideologically) التي يستخدمها الكتاب العرب كما هي باللغة الإنجليزية أو الفرنسية على الرَّغْمِ من عدم صعوبة إيجاد مقابل لها في اللغة العربية، وهٰذا المقابل موضع توافق اللغويين المختصين بالترجمة والتعريب. وكلمة عقائية لا تفتقر إلىٰ المرونة المطلوبة للتعامل مع الاشتقاقات اللازمة أو المقابلة للاشتقاقات اللاتينية عن (Ideologically).

* * *

المحتويات

- **الإهداء** ٥
- الفصل الأول: الممهدات ٧

مقدمة ٩

أولاً: انتهاء الحرب الباردة والصراع ١١

ثانياً: أزمة الخليج الثانية ١٤

- الفصل الثاني: الموقف من البلدان المتقدمة ٢١

مقدمة ٢٣

التحكم بالوحدة الأُوروبِيَّة ٣١

النفوذ السياسي ٣٤

النفوذ العسكري ٣٦

رابعا: عودة ا لاستعمار ٤٠

خامساً: البدائل ا لأخرى ٤٣

وماذا هناك من بدائل أيضا؟ ٤٨

- الفصل الثالث: الموقف من البلدان الشرقية ٥١

مقدمة ٥٣

التمرد الياباني ٥٣

اليابان تغزو أمريكا ٥٨
وللدول المستقلة شأنها ٦١
١ . نزع السِّلاح ٦٢
٢ . الاحتواء السياسي والاقتصادي ٦٤
• الفصل الرابع: الموقف من البلدان النامية ٦٧
• الفصل الخامس: مصير حلف شمال الأطلسي ٨٣
• الفصل السادس: الموقف من القضية الفلسطينية ٩١
• الفصل السابع: الحرب من أجل السلم ١١٣
• خاتمة: أمريكا علىٰ طريق الهاوية ١٢٥
• ثبت المراجع ١٣٣
• قائمة اصطلاحات ١٣٧
• المحتويات ١٣٩

* * *

عزت السيد أحمد
كيف ستواجه أمريكا العالم؟
الهيمنة الأمريكية والنظام العالمي الجديد
هذا الكتاب
ما إن بدأ الاتحاد السوفيتي بالتداعي بعد قليل من استلام ميخائيل جورباتشوف السلطة السوفيتية حتى بدأت الولايات المتحدة تعيد نظرتها الاستراتيجية لوجودها في بقاع العالم المختلفة وتضع الترتيبات المناسبة للمرحلة القادمة ولكن انهيار الاتحاد السوفيتي الذي جاء صاعقا للعالم أجمع وليس الولايات المتحدة وحدها فرض على الولايات المتحدة أن تعيد رسم خرائط العالم بما يحقق حضورها وهيمنتها... الحقيقة أن هذا الانهيار وضعها أمام تحديات أكثر مما وضعها أمام ممارسة سيادتها على العالم كيف ستكون الاستراتيجيا الأمريكية الجديدة؟ هذا ما سيعالجه هذا الكتاب
دار السلام للطباعة
دمشق . 1992